المجتمع الميزابي في الجزائر مثال في الانضباط والتكافل

ص15

خالد حفتر
رئيس جديد لأركان الجيش الليبي برؤية 2030

ص7

هل تقود تغييرات أردوغان إلى انحسار التيار المحافظ

ص6

العرب

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

أسسها: أحمد الصالحين الهوني

الأحد 2025/08/24 – 01 ربيع الأول 1447

السنة 48 العدد 13585

Sunday 24/08/2025

48th Year, Issue 13585

www.alarab.co.uk

صفقة أسلحة من باكستان إلى الجيش السوداني تغيّر موازين الحرب

تدفق الأسلحة يفتح الباب لحرب بالوكالة بين قوات الجيش والدعم السريع

الخرطوم - أصبحت موازين الحرب في السودان بين قوات الجيش والدعم السريع على وشك الدخول في مرحلة جديدة بعد معلومات نشرها موقع "دفاع وأمن آسيا" أخيرا حول قيام باكستان بالتوقيع على عقد دفاعي بقيمة 1.5 مليار دولار مع الخرطوم، في وقت تصاعدت فيه حدة الصراع في السودان، ولم تظهر ملامح مؤكدة حول تسويته سياسيا.

وتشير الصفقة إلى إصرار الجيش السوداني على تصعيد حملته العسكرية، ومحاولة حسم الأمر لصالحه، ما يفسر عدم تجاوبه مع العودة إلى طاولة المفاوضات، وأن المحادثات التي أجراها قائد الجيش الفريق أول عبدالفتاح البرهان مع مسعد بولس المبعوث الأميركي الخاص في سويسرا مؤخرا هدفها استهلاك الوقت إلى حين وصول المعدات التي تحويها الصفقة الكبيرة مع باكستان إلى البلاد.

وجرى الاتفاق على الصفقة خلال زيارة قام بها وفد عسكري سوداني رفيع المستوى إلى إسلام آباد، وتتميز حزمة الأسلحة بضخامتها وتنوعها، وتشمل أنظمة جوية وبرية ودفاعية جوية، تهدف إلى منح القوات المسلحة تفوقاً على قوات الدعم السريع.

الصفقة تحوي 10 طائرات كي8، و220 طائرة مسيّرة موزعة على أربع فئات مختلفة وذات قدرات قتالية كبيرة، و150 مدرعة

وقام قائد القوات الجوية السودانية الفريق طيار الطاهر محمد العوض الأمين، برفقة قائد الدفاع الجوي وعدد من مسؤولي هيئة التصنيع الحربي السودانية، بزيارة رسمية إلى باكستان، وخلال الزيارة التقى الوفد بوزير الدفاع الباكستاني وقائد سلاح الجو وعدد من كبار المسؤولين العسكريين في إسلام آباد، ووقعت هيئة التصنيع الحربي السودانية عقداً دفاعياً مع باكستان.

وتحوي الصفقة 10 طائرات كي 8 للتدريب والهجوم الخفيف، وهي نتاج التعاون الدفاعي بين باكستان والصين، وصُمّمت من أجل تدريب الطيارين وتقديم الدعم الجوي القريب، والطائرة مجهزة بنقاط تعليق للأسلحة جو – أرض والصواريخ غير الموجهة، ما يسمح للسودان باستخدامها كطائرة هجومية اقتصادية قادرة على تنفيذ مهام ضد قوات الدعم السريع وحلفائها في بيئات قاسية، مثل دارفور وكردفان.

ويشمل الاتفاق أيضا تحديث محركات طائرات ميغ – 21 سوفياتية الصنع، لإطالة عمر أسطولها القديم الذي ما زال يمثل عنصراً أساسياً في تشكيلات القوات المسلحة السودانية، وتستطيع ميغ – 21 المطوَّرة أداء مهام دفاع جوي وهجمات محدودة، خاصة مع دعمها بأصول جديدة من الطائرات المسيّرة.

ويعد الجزء الأبرز في الصفقة هو تسليم 220 طائرة مسيّرة موزعة على أربع فئات مختلفة وذات قدرات قتالية كبيرة ومتعددة المهام، ما يحدث توازنا في مواجهة مسيّرات الدعم السريع، والتي هددت أماكن حيوية في شرق السودان، ووصلت إلى مطار بورتسودان، وقواعد عسكرية تابعة للجيش.

ويمثل إدماج المسيّرات في عمليات الجيش السوداني تحوّلا سوف ينقله إلى عصر حروب المسيّرات الشبكية، على غرار ما حدث في أوكرانيا وناغورني قرة باغ واليمن، بالتالي يسد واحدة من الثغرات التي نجحت قوات الدعم السريع في توظيفها لصالحها ومكّنتها من السيطرة على عدد من المناطق الحيوية في ولايات الجزيرة وسنار والخرطوم، قبل أن تضطر إلى الانسحاب منها بعد معارك ضارية.

وتتضمن الصفقة 150 عربة مدرعة تقوم بتوفير حماية ضد الأسلحة الخفيفة والعبوات الناسفة، وهو تطور نوعي سوف تشهده الحرب في السودان، ويفيد قوات الجيش في التعامل مع وحدات الدعم السريع في أماكن عديدة تتحصّن فيها.

والعنصر المهم إستراتيجياً هو نقل أنظمة الدفاع الجوي HQ–9 بعيدة المدى وHQ–6 متوسطة المدى، والأول يُقارن بالـS–300 الروسي، القادر على استهداف الطائرات وصواريخ كروز لمسافة تصل إلى 200 كم، ما يمنح الجيش السوداني القدرة على حرمان الطائرات المعادية من دخول مجاله الجوي، بينما يوفر الثاني (HQ–6) دفاعاً ضد المسيّرات والمروحيات والصواريخ قصيرة المدى.

ويشير إدراج الطائرات المسيّرة ضمن صفقة السودان إلى نية باكستان دخول سوق المسيرات العالمي، والذي شهد تقدماً، وعبر تزويد السودان وغيره بمنصات قتالية منخفضة التكلفة ومجرَّبة ميدانياً، تستهدف باكستان الدول غير القادرة على شراء الأنظمة الغربية، وتلك التي تبحث عن بدائل موثوقة للمورّدين الصينيين والروس.

ويهدد تسليم الأسلحة الباكستانية المتقدمة إلى السودان بإطالة أمد الحرب وتصعيدها ودخولها فضاءات أكثر صعوبة، فقوات الجيش يمكنها أن تحقق تفوقاً جويا حاسماً بفضل المسيّرات وأنظمة الدفاع الجوي، وتعزز العربات المدرعة قدراتها في القتال داخل المدن.

وأشار التقرير إلى استبعاد أن تظل الدعم السريع مكتوفة الأيدي، وقد يقوم داعموها بعقد صفقات جديدة لصالحها، وإدخال أنظمة مضادة للطائرات المسيّرة، وصواريخ دفاع جوي محمولة على الكتف.

وأثارت الصفقة الكبيرة تساؤلات حول الجهة التي ستقوم بتمويلها، لأن الجيش لا يملك موارد كافية لعقد هذا النوع من الصفقات، وهو ما يرجّح وجود طرف ثالث، من مصلحته أن يحرز الجيش السوداني تفوّقا.

ويقول مراقبون إن إتمام الصفقة يعني تفوقا كبيرا لصالح الجيش، ويعني أن واشنطن ترى فيها مصلحة إستراتيجية، قد تتمثل في اتفاق بينها وبين الخرطوم على حرمان روسيا وإيران من الوصول والتمركز على سواحل البحر الأحمر.

لا خيار غير استمرار الحرب

حظر النقاشات السياسية والدينية بالمدارس المصرية يثير الجدل

القاهرة - تعاملت شريحة من المصريين مع قرار وزير التربية والتعليم والتعليم الفني محمد عبداللطيف بحظر التطرق داخل المدارس إلى أيّ "قضايا خلافية ذات طابع سياسي أو ديني،" على أنه قرار "تحصيل حاصل،" ولا جديد فيه، لأن مناقشة هذه القضايا غير مسموح بها أصلا، وليست في حاجة إلى قرار تربوي أو تعليمي، فغالبية المدارس في مصر نأت منذ سنوات عن كونها مفرّخة لسياسيين صغار، أو ملتقى مفتوحا للحوار حول قضايا دينية شائكة.

وقد يرتد قرار وزير التعليم عليه سياسيا، بعد تطبيقه مع بداية العام الدراسي الجديد خلال أسابيع قليلة، فالرجل منذ تعيينه في منصبه منذ حوالي عام وهو يثير الجدل.

وقد يرتد القرار أيضا إلى صدر الحكومة نفسها، ويفتح عليها تساؤلات ساخرة، فإذا كانت حرّمت مناقشة القضايا السياسية والدينية في الفضاء العام، ومنعتها أيضا في الجامعات منذ سنوات، فلا حاجة إلى أن يصدر وزير التعليم قرارا بحظرها في المدارس، بشكل يوحي أن هناك نشاطا غير مألوف بها، أو أن هناك تنظيمات تستغل المراهقين لتبث في عقولهم أفكارا معينة، لا تريد الحكومة انتشارها.

في المضمون الظاهر، هدف قرار وزير التعليم الحفاظ على بيئة تعليمية آمنة ومحايدة، تُركز على الجوانب التربوية والعلمية، بعيدًا عن الجدل أو الاستقطاب، بما يضمن استقرار العملية التعليمية وحماية الطلاب من التأثيرات الخارجية.

بينما في الباطن، يكشف عن قلق من احتمال وجود تحركات خفية لقوى معارضة كامنة، ذات توجهات إسلامية، تحاول توظيف حداثة سن طلاب المدارس، لأغراض مشبوهة، تتنافى مع تصورات الدولة الوطنية، التي نجحت في تضييق الفضاء العام خلال السنوات الماضية، ولا تريد في خضم أزمات اقتصادية واحتقانات اجتماعية، تفجير قضايا سياسية ودينية تثير الحساسية، ويصعب حصرها داخل جدران المدارس، ففرص خروجها سوف تكون كبيرة إذا تحرك الشارع المصري بتلقائية تحت وطأة ما يحيط به من مشاكل عميقة، وتحديات دقيقة.

وشددت وزارة التعليم على ضرورة التزام جميع العاملين في الحقل التعليمي بتطبيق القرار داخل المدارس الحكومية والخاصة والدولية، وقالت إن أيّ تجاوزات ستقابل بإجراءات حازمة، في إشارة إلى عدم التهاون، وأن القرار تم اتخاذه بتنسيق مع مؤسسات الدولة، ما يشير إلى وجود خطورة محتملة، حيث تعلمت السلطة في مصر الدروس وتقوم بالتصدي مبكرا وعدم انتظار حدوث كارثة ثم التفكير في مواجهتها.

وبرر الوزير محمد عبداللطيف القرار بنسق أخلاقي جذاب، يكمن في الحرص على تعزيز قيم الانضباط والحياد داخل المؤسسات التعليمية، وأن تظل المدرسة ساحة للعلم وليست منبرًا لنقاشات قد تؤدي إلى انقسام أو توتر بين الطلاب أو أعضاء هيئة التدريس.

وتأتي المشكلة من رحم ما ينطوي عليه القرار نفسه من تناقض بين ما يحمله من مضمون خامل وعاجز وتقليدي، وبين مطالبات الرئيس عبدالفتاح السيسي بإطلاق حرية الإبداع والتفكير وتشجيع الشباب الصغار على التفكير واكتشاف واستقطاب المواهب، وكأن وزير التعليم، وربما الحكومة برمتها، يعمل بشكل منفصل عمّا يريده رئيس الدولة.

إذا كانت الحكومة حرّمت مناقشة القضايا السياسية والدينية في الجامعات، فلا حاجة إلى أن يصدر قرار بحظرها في المدارس

وتقدم عضو مجلس النواب، نائب رئيس الحزب المصري الديمقراطي الاجتماعي، فريدي البياضي بسؤال برلماني عاجل إلى وزير التعليم، اعتراضا على قرار حظر التطرق داخل المدارس إلى أيّ قضايا ذات طابع سياسي أو ديني، مؤكدا أنه يتجاوز كونه إجراء إداريا ضيق الأفق، حيث يشكّل مخالفة صريحة للدستور المصري.

وينص الدستور في مصر على أن التعليم هدفه بناء الشخصية المصرية وترسيخ مفاهيم المواطنة والتسامح وعدم التمييز، وأن تكفل الدولة حرية البحث العلمي وتشجيع مؤسساته، ولكل إنسان حق التعبير عن رأيه بالقول والكتابة أو غير ذلك.

وحذر البياضي من أن القرار ينطوي على خطورة في تشكيل وعي الطلاب، وزرع الخوف في عقولهم من طرح الأسئلة، مطالبا بتوضيح الأساس الدستوري الذي استند إليه وزير التعليم، وكشف خططه للتعامل مع المناهج التي تتضمن بالفعل قضايا سياسية ودينية وتاريخية.

تقرير يهوّن من ضربات ترامب ضد إيران ينتهي بإقالة قادة الاستخبارات

واشنطن – تستعد إدارة الرئيس دونالد ترامب لإقالة رئيس وكالة استخبارات الدفاع "دي آي إيه" ومسؤولَيْن كبيرين في الوكالة، حسبما أفاد مسؤولان الجمعة، في إطار سلسلة إقالات شملت عددا من كبار الضباط هذا العام.

وتأتي إقالة الجنرال جيفري كروس الذي ترأس وكالة استخبارات الدفاع منذ بداية عام 2024، بعد أن أصدرت الوكالة تقييما أوليا أفاد بأن الضربات الأميركية على إيران في يونيو أدت إلى تأخير برنامجها النووي لبضعة أشهر فقط.

ويناقض التقييم الذي نشرته وسائل الإعلام الأميركية على نطاق واسع، تصريحات الرئيس دونالد ترامب بأن الضربات دمرت المواقع النووية الثلاثة المستهدفة بالكامل، ما أثار غضبه ومسؤولين داخل إدارته.

وقال مسؤول طلب عدم كشف هويته إن الجنرال جيفري كروس "لن يشغل منصب مدير وكالة استخبارات الدفاع بعد الآن،" دون تقديم أيّ تفسير للقرار.

وقبل أن يصبح مديراً لوكالة استخبارات الدفاع، كان كروس مستشاراً لمدير الاستخبارات الوطنية للشؤون العسكرية، وشغل أيضاً مناصب من بينها مدير الاستخبارات للتحالف ضد تنظيم الدولة الإسلامية.

بدوره، قال مسؤول أميركي بشكل منفصل طالبا عدم نشر اسمه إن اثنين من كبار الضباط هما مساعد الأميرال نانسي لاكور قائدة قوات الاحتياط في البحرية، والأميرال ميلتون ساندز رئيس قيادة الحرب الخاصة البحرية، سيغادران منصبيهما أيضا.

وفي يونيو الماضي شنت الولايات المتحدة ضربات واسعة النطاق على ثلاثة مواقع نووية إيرانية، شاركت فيها أكثر من 125 طائرة أميركية بالإضافة إلى غواصة صواريخ موجهة.

وقال الرئيس الأميركي في خطاب قصير "تمّ تدمير منشآت التخصيب النووي الرئيسية في إيران بشكل تام وكامل. على إيران المتنمرة في الشرق الأوسط، أن تصنع السلام الآن."

وأضاف ترامب الذي كان محاطا بنائبه جاي دي فانس ووزير الدفاع بيت هيغسيث ووزير الخارجية ماركو روبيو، "إذا لم يفعلوا ذلك، فإن الهجمات المستقبلية ستكون أكبر وأسهل بكثير."

وقبل ذلك، قال الرئيس الأميركي عبر منصة "تروث سوشال" إن "حمولة كاملة من القنابل" أسقطت على منشأة فوردو الواقعة تحت الأرض، واصفا إياها بأنها "الموقع الرئيسي".

وردت إدارة ترامب بهجوم على وسائل الإعلام في ظل تصريحات وتعاليق مهونة من الهجوم، مؤكدة أن العملية كانت ناجحة تماما، ووبخت الصحافيين لنشرهم هذا التقييم.

تقييم وكالة الاستخبارات يناقض تصريحات ترامب بأن الضربات دمرت المواقع النووية الثلاثة المستهدفة بالكامل

وشدد وزير الدفاع بيت هيغسيث على أن التقييم "سُرّب لأن لدى أحدهم أجندة لمحاولة خلط الأوراق وإظهار الأمر كأن هذه الضربة التاريخية لم تكن ناجحة،" منتقدا "التغطية المتملقة لتقييم أولي."

ومنذ بدء ولايته الثانية في يناير، أشرف ترامب على سلسلة إقالات لضباط كبار، من بينهم رئيس هيئة الأركان المشتركة الجنرال تشارلز "سي كيو" براون، الذي أقاله دون تفسير في فبراير.

ومن بين كبار الضباط الآخرين الذين تم فصلهم هذا العام قائدا البحرية وخفر السواحل، والجنرال الذي ترأس وكالة الأمن القومي، ونائب رئيس أركان القوات الجوية، وأميرال بحري ملحق بحلف شمال الأطلسي، وثلاثة من كبار المحامين العسكريين.

كما أعلن رئيس أركان القوات الجوية مؤخرا عن تقاعده دون إبداء أيّ تفسير، بعد عامين فقط من بدء ولايته.

وقال هيغسيث إن الرئيس يختار ببساطة القادة الذين يريدهم، لكن مشرّعين ديمقراطيين أثاروا مخاوف بشأن التسييس المحتمل للجيش الأميركي المحايد تقليديا.

وفي وقت سابق من هذا العام، أمر هيغسيث بخفض عدد الجنرالات والأميرالات من فئة الأربع نجوم في الخدمة الفعلية في الجيش الأميركي بنسبة 20 في المئة على الأقل، فضلا عن خفض عدد الجنرالات وكبار الضباط بنسبة 10 في المئة بشكل عام.

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينارات – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

العرب
الأحد 2025/08/24
السنة 48 العدد 13585

هل تتجه الأمم المتحدة إلى تعويض المينورسو لمواكبة مخطط الحكم الذاتي في الصحراء المغربية

دبلوماسيون وعسكريون أميركيون يناقشون في العيون تقليص عدد عناصر البعثة

بالموازاة مع استعداد مجلس الأمن الدولي للتصويت على قرار جديد يراعي التحولات الكبيرة في ملف الصحراء المغربية، زار وفد أميركي مدينة العيون، في خطوة يرى مراقبون أنها ترمي إلى تقليص عدد عناصر بعثة المينورسو، ما يمهّد لتغييرها ببعثة جديدة.

محمد ماموني العلوي

الرباط - في وقت يتهيأ فيه مجلس الأمن الدولي للتصويت، خلال أكتوبر المقبل، على قرار جديد يتماشى مع التحولات الكبيرة التي يعرفها ملف الصحراء المغربية، وإجماع الدول المؤثرة على خيار الحكم الذاتي حلا للنزاع المفتعل، خصوصا الولايات المتحدة الأميركية التي جدد رئيسها دونالد ترامب مؤخرا تأكيده على سيادة المغرب على صحرائه، قام وفد أميركي يضم دبلوماسيين وعسكريين بزيارة إلى مدينة العيون، للقاء رئيس بعثة المينورسو ألكسندر إيفانكو، حيث تركز النقاش على تقليص مكونات البعثة المدنية والسياسية بإعادة هيكلتها وتغيير اسمها، مع الإبقاء على القوات المكلفة بمراقبة وقف إطلاق النار.

وفي أول حضور ميداني من نوعه لمسؤولين من هذا المكتب منذ اندلاع النزاع، استقبل إيفانكو الممثل الخاص للأمين العام للأمم المتحدة بالصحراء ورئيس بعثة المينورسو، بتاريخ 19 أغسطس 2025، كلا من غريغوري راوود كافيرت موريسون جيمس مدير مكتب عمليات حفظ السلام بوزارة الخارجية الأميركية، ومانديسين جين غودباليه المكلفة بالشؤون الخارجية بالمكتب نفسه، إلى جانب أنتوني جيمس دياز المستشار السياسي بالبعثة الأميركية الدائمة لدى الأمم المتحدة في نيويورك، وآدم ميغيل ليفي القائم بأعمال المستشار السياسي بسفارة الولايات المتحدة في الرباط.

وحسب مصادر دبلوماسية لـ"العرب"، فحضور الوفد الأميركي الرفيع إلى العيون يتماشى مع موقف واشنطن الداعم لسيادة المغرب على الصحراء، وتجاوز خيار الاستفتاء على تقرير المصير الذي تروج له جبهة بوليساريو، وسياسة تقليص عدد أفراد البعثة الأممية.

وتأتي زيارة الوفد الأميركي للعيون، بعد رسالة الرئيس ترامب التي وجهها إلى العاهل المغربي الملك محمد السادس بتاريخ 2 أغسطس الجاري بمناسبة عيد العرش، دعمه لمغربية الصحراء ولمقترح الحكم الذاتي الذي تقدمت به الرباط في عام 2007، في إطار سيادة المملكة، حيث عززت الرسالة رسميا سيادة المغرب على صحرائه واستبعاد فكرة إجراء استفتاء لتقرير المصير في الصحراء كما تسوق بوليساريو.

مولاي الحسن

زيارة الوفد الأميركي تشكل تحولا جوهريا في مسار النزاع

وأكد مولاي الحسن الناجي رئيس الهيئة المستقلة لحقوق الإنسان في شمال أفريقيا وعضو اللجنة التنفيذية للمركز الافريقي للدراسات وحقوق الإنسان، أن "زيارة الوفد الأميركي جاءت للاطلاع على عمليات المينورسو المرتبطة بمراقبة وقف إطلاق النار، وأيضا لدراسة وضعيتها ومدى قيامها بعملها وهل هناك انعكاس ميداني يستجيب لمعايير الدعم الذي تقدمه واشنطن للبعثة في إطار قرار إدارة ترامب تقليص النفقات الموجهة للبعثات الإنسانية والأممية التابعة للمنظمات الدولية بما فيها الأمم المتحدة ومنظمة الصحة العالمية وغيرها.

وأوضح، في تصريح لـ"العرب"، أن "لقاء الوفد الأميركي مع ايفانكو، جاء لمناقشة تغيير مسار ومهمة المينورسو التي أنشئت في العام 1991، لإجراء الاستفتاء في الصحراء ومراقبة وقف إطلاق النار، خصوصا وأن الظروف والتحولات الجيوسياسية لم تعد تنسجم مع قرار الاستفتاء الذي أصبح من الماضي، مقابل الدعم الدولي الواسع لمبادرة الحكم الذاتي وعلى رأسها واشنطن وفرنسا والمملكة المتحدة وإسبانيا كحل واقعي ومستدام تحت السيادة المغربية، ولهذا فوفد الولايات المتحدة يعكس ما يروج داخل الإدارة الأميركية وداخل أروقة الأمم المتحدة حول انشاء هيئة أخرى باختصاصات جديدة تعوض المينورسو من أجل التعاطي مع كل ما يتعلق بالحكم الذاتي كحل وحيد للنزاع المفتعل."

بوادر تغيير جديدة

ونظرا للاهتمام الأميركي الواضح بآليات عمل المينورسو ومدى قدرتها على مراقبة وقف إطلاق النار، أكد مولاي لحسن، أن "زيارة الوفد الأميركي يشكل تحولا جوهريا في مسار النزاع، الذي سيظل رهينة بمواقف الدول دائمة العضوية، خاصة الصين وروسيا التي قد تلعب دورا حاسما في التصويت المرتقب خلال أكتوبر المقبل للمضي قدما في هذا التوجه ودعم هذا القرار خصوصا، مع محاولات دولية لتهيئة ظروف مفاوضات جديدة بين أطراف النزاع بمشاركة الجزائر وبوليساريو والمغرب وموريتانيا يكون أساسها مبادارة الحكم الذاتي وكيفية تطبيقها على أرض الواقع بالصحراء المغربية، خدمة للاستقرار والأمن بالمنطقة، وهذه الهيئة الأممية الجديدة اذا تم انشاؤها بقرار اممي سيكون لها ما بعده في دعم حل واقعي ومستدام".

ويبدو أن وضع بعثات حفظ السلام الأخرى التابعة للأمم المتحدة تغير مع ولاية دونالد ترامب الثانية، منها المينورسو، ففي مارس الماضي، حثّ مركز أبحاث أميركي موالٍ للجمهوريين الرئيس ترامب على وقف تمويل بعثة الأمم المتحدة للاستفتاء في الصحراء (مينورسو)، واعتبر أن "ترامب والأمم المتحدة يمكنهما توفير مليارات الدولارات بإنهاء هذه العمليات".

وفي وقت يستعد فيه الأمين العام للأمم المتحدة أنطوميو غوتيريش لتقديم تقريره السنوي أمام مجلس الأمن الدولي حول نزاع الصحراء المغربية، قررت بعثة الأمم المتحدة للاستفتاء (المينورسو) عدم تجديد عقود موظفيها، حيث أبلغ مقر البعثة الأممية، المتمركز في العيون، المتعاقدين المغاربة بهذا الإجراء، الذي يتزامن مع تعليق توظيف موظفين أجانب جدد، وفقًا لتوجيه من مقر الأمم المتحدة في نيويورك.

ولم يتم تخفيض ميزانية المينورسو رغم الأزمة المالية التي عصفت بالمنظمة لسنوات عديدة، حيث خصصت الأمم المتحدة في عام 2024 مبلغ 75.35 مليون دولار أميركي لبعثتها في الصحراء المغربية، بزيادة تقدر ب 9.1 في المئة مقارنة بالسنة المالية السابقة.

توصيات لإنجاح موسم الزيتون في تونس

تونس - أوصى وزير الزراعة والموارد المائية والصيد البحري في تونس عزّالدين بن الشيخ بإنجاح موسم الزيتون 2025 – 2026 في ظل وجود مؤشّرات إيجابية.

ويقدر عدد أشجار الزيتون في تونس بحوالي 107 مليون شجرة موزعة على مساحة تقارب مليوني هكتار، وتُعد تونس من أكبر الدول من حيث المساحة المخصصة لغراسة الزياتين في العالم.

وتُشكل زراعة الزيتون ركيزة أساسية للاقتصاد التونسي، باعتبارها توفر فرص عمل واسعة وتساهم بنسبة كبيرة في الصادرات الزراعية.

وعقد عزالدين بن الشيخ، في إطار العمل المتواصل للوزارة لإنجاح موسم الزّيتون على مستوى الإنتاج والتّحويل والتّصدير، اجتماعا للمجلس الوطني للزيتون بحضور ممثّلي الهياكل العمومية المتداخلة وممثّلي المهنة، وفق بلاغ الوزارة.

وخصص اللقاء للنظر في تقدم موسم التصدير، والمؤشّرات العالمية للإنتاج والأسعار ومصفوفة البرامج والإجراءات المتعلّقة بالاستعدادات لإنجاح الموسم القادم 2025 – 2026.

وثمّن أعضاء المجلس عقد هذه الجلسة بصفة مبكرة ما يمكن من حسن الاستعداد للموسم القادم. وتناولوا بالدرس المقترحات المضمنة بالمصفوفة والتي تعبر عن جانب كبير من مشاغل القطاع، كما تم إثراء هذه المقترحات بمجموعة من التوصيات تهم مختلف حلقات المنظومة من الإنتاج مرورا بالتحويل والخزن وصولا إلى الترويج.

وإثر النّقاش، أكّد الوزير على أنّه سيتم الأخذ بعين الاعتبار لكلّ المقترحات، مبرزا أنّ مؤشّرات الموسم القادم إيجابيّة. وأوصى الوزير بالعمل المشترك بين جميع الأطراف لتدارك نقائص الموسم الماضي مشددا على مزيد التّنسيق لمجابهة التّطوّرات والتّدخّل الحيني لإنجاح الموسم وضمان حسن سيره.

وللتّذكير فإنّ صادرات تونس من زيت الزيتون خلال موسم (2024 – 2025) بلغت 239 ألف طن أي بنسبة تطور 35 في المئة مقارنة بنفس الفترة.

ويعد إنتاج الزيتون من أكثر القطاعات الحيوية التي تضررت في السنوات الأخيرة وتراجعت مردوديته بسبب الجفاف، الذي زاد من أوجاع اقتصاد تونس، الذي يحاول الخروج من أزماته المزمنة.

وتنشط في تونس قرابة 1750 معصرة و15 وحدة تكرير و14 وحدة لاستخراج زيت الثفل، إلى جانب 35 وحدة معالجة وتعبئة. ويكتسي الزيتون أهمية كبرى في تونس إذ تقدر مساحة الغراسات بنحو 2 مليون هكتار ما يؤهلها لتكون الثانية عالميا على مستوى المساحة بعد إسبانيا وهي من ضمن الأربعة الكبار المنتجين لزيت الزيتون.

ليبيا تعلن نتائج أولية لانتخابات 26 بلدية وتفتح باب الطعون

الحبيب الأسود

أعلنت المفوضية الوطنية العليا للانتخابات في ليبيا أن الطعن في النتائج الأولية لانتخابات المجالس البلدية (المجموعة الثانية – 2025) سيكون خلال يومي عمل من تاريخ نشر النتائج الأولية.

وأشارت المفوضية إلى أن موعد الطعن في النتائج أمام المحاكم الجزئية سيكون اليوم الأحد وغدا الاثنين، وذلك وفقًا لمواد الفصل العاشر (الطعون) من اللائحة التنفيذية لانتخابات المجالس البلدية.

ونشرت المفوضية النتائج الأولية لانتخابات المجالس البلدية التي شملت 26 بلدية وجرت في 16 أغسطس الجاري.

وأضافت أن عدد المقترعين في الانتخابات البلدية للمجموعة الثانية بلغ 165 ألفًا و159 ناخبًا، بنسبة مشاركة وصلت إلى 72.41 في المئة، مشيرة إلى أن إجمالي عدد الناخبين بلغ 228 ألفًا و61 شخصًا، منهم 161 ألفًا و73 رجلًا و66 ألفًا و988 امرأة.

وقالت المفوضية إن قائمة "البصمة" تصدرت النتائج في بلدية زليتن و"البناء" في قصر الأخيار، و"الإعمار" في مسلاتة وسوق الجمعة وأبوسليم، و"رأس الغزال" في القاره بولي، و"الوفاق" في عين زارة، و"السارية" في طرابلس المركز، و"التعاون" في حي الأندلس، و"الشمس" في المايةـ و"القلم" في سواني بني آدم و"عودة الحياة" في الزهراء والعزيزية، و"رؤية جديدة" في المعمورة و"إعمار" في العجيلات، و"المفتاح" في الجميل المفتاح، و"البناء والإعمار" في المنشية و"الزيتونة" في رقدالين، و"التوافق" في نالوت وباطن الجبل، و"نبض المدينة" في الأصابعة، و"الشروق" في ككلة، و"الاتحاد" في يفرن، و"الوفاء" في ظاهر الجبل، و"الإعمار والإصلاح" في جادو، و"التنمية والإعمار" في طبقة وعين الأزاهرة.

وأعلن رئيس المفوضية الوطنية العليا للانتخابات عماد السائح أن عملية الاقتراع التي أجريت في 7 بلديات كانت قد توقفت سابقا نتيجة هجوم إرهابي، مؤكدًا أن العملية سارت بشكل منظم رغم التحديات الأمنية.

وأكد السائح أن تقارير مراقبة العملية الانتخابية كانت إيجابية، مشيرًا إلى أن بعض المخالفات التي سُجلت لا ترقى إلى مستوى الخرق الانتخابي.

وتابع أن المجموعة الثالثة من الانتخابات البلدية لم يُحدد موعدها بعد، لكنها من المقرر أن تُجرى خلال الربع الأخير من العام الجاري، إما في أكتوبر أو نوفمبر.

وفي رسالة مباشرة إلى الحكومة المنبثقة عن مجلس النواب، دعا السائح إلى إعادة النظر في التعليمات الأمنية الصادرة عن أجهزتها بوقف الانتخابات في 26 دائرة انتخابية، وتمكين المفوضية من استئناف عملها، وقال إن "عملية انتخاب المجالس البلدية كشفت عن الوجه القبيح لقوى الظلام والفساد"، التي تسعى إلى تعطيل العملية الديمقراطية ومنع إرادة الناخبين من التعبير عن خياراتهم.

> **مفوضية الانتخابات في ليبيا أعلنت انطلاق الانتخابات البلدية في 7 بلديات بعد تعذر إجرائها الأسبوع الماضي**

وفيما يتعلق بالاستحقاقات الوطنية، جدد السائح تأكيد جاهزية المفوضية لتنفيذ انتخابات رئاسية وبرلمانية، شريطة أن تُجرى وفق القوانين والمعايير الناظمة.

وأشار السائح إلى أن المفوضية لديها العديد من الملاحظات على مخرجات اللجنة الاستشارية، وخاصة في بعض الجوانب الفنية، التي قال إنها تتطلب مزيدًا من التوضيح قبل تنفيذها.

كما دعا إلى ضرورة استشارة المفوضية في تفاصيل التعديلات التي ستُجرى على قوانين انتخاب مجلس الأمة ورئيس الدولة، لتفادي الإرباك في المسار القانوني والإجرائي، كاشفا عن مشكلات واجهتها المفوضية مع المحاكم خلال المرحلة الماضية، ومؤكدًا أن القضاء الإداري غير مختص بالنظر في الطعون الانتخابية، ومشيرًا إلى تعارض بين القوانين السارية ونصوص اللوائح الانتخابية للمفوضية.

وأعلنت المفوضية، انطلاق الانتخابات البلدية في 7 بلديات شمال غرب البلاد السبت بعد تعذر إجرائها الأسبوع الماضي لأسباب أمنية ضمن مرحلتها الثانية.

وأثنى السائح في جولة في مكتب الإدارة الانتخابية الزاوية وعدد من مراكز الاقتراع في البلديات التابعة للمكتب، على تكاتف جهود موظفي مكتب الإدارة الانتخابية الزاوية، والمساعي الحكيمة للأعيان والحكماء والنخب المثقفة، والمواطنين الذين أبدوا جميعا حرصهم ورغبتهم في استكمال هذا الاستحقاق الوطني، والمحافظة على الصورة المشرفة والحضارية للبلديات المستهدفة بالانتخابات في نطاق المكتب.

كما أبرز أن المفوضية جاهزة لتحمل مسؤولياتها وتنفيذ انتخابات رئاسية وتشريعية وفق القوانين المنظمة، داعيًا إلى ضرورة إشراك المفوضية في التفاصيل الفنية المتعلقة بتعديل القوانين الانتخابية المزمع التفاوض عليها خلال المرحلة المقبلة.

تجربة أولى محفوفة بالمخاطر

العرب
الأحد 2025/08/24
السنة 48 العدد 13585

التوترات الأمنية في السويداء والحسكة والرقة ترجئ انتخابات مجلس الشعب

الفيتو أمام دعاة التقسيم والانفصال يمنع ترشح رموز درزية وكردية

التوتر في الشارع الدرزي وراء إرجاء الانتخابات

إجراء انتخابات مجلس الشعب السوري في محافظات وتأجيلها في محافظات أخرى لاعتبارات أمنية وطائفية يرسل إشارات سلبية عن مستقبل وحدة سوريا، في ظل تزايد أنشطة الانفصاليين ودعاة التقسيم وخاصة في ضوء إجراءات ومواقف حكومية تدفعهم إلى التمسك بتوجهاتهم.

دمشق - قررت اللجنة العليا لانتخابات مجلس الشعب السوري (البرلمان) إرجاء العملية الانتخابية في محافظات السويداء والحسكة والرقة، في ظل التوترات الأمنية والطائفية التي تواجهها هذه المناطق، ما يمنع إجراء الانتخابات ووصول اللجان المشرفة عليها إلى هناك وتأمين صناديق الاقتراع.

ويأتي هذا القرار في وقت يضع فيه المرسوم الرئاسي الخاص بالانتخابات عراقيل أمام ترشيح رموز كردية ودرزية أو علوية سبق أن أعلنت مواقف تحث على الانفصال وتقسيم سوريا، والهدف، وفق مراقبين، هو منع وجهاء السويداء والحسكة من عضوية مجلس الشعب.

وقال نوار نجمة، المتحدث الإعلامي باسم اللجنة العليا لانتخابات مجلس الشعب، في تصريح خاص لموقع تلفزيون سوريا نشره السبت إن قرار الإرجاء جاء حرصا من اللجنة على تحقيق تمثيل عادل في مجلس الشعب للمحافظات الثلاث، مؤكدا أن المخصصات من المقاعد ستبقى محفوظة إلى حين إجراء الانتخابات.

وأضاف نجمة أن اللجنة اتخذت هذا القرار إلى حين توفر الظروف المناسبة والبيئة الآمنة التي تضمن إجراء العملية الانتخابية بشكل سليم.

وتشهد محافظة السويداء، ذات الغالبية الدرزية، حالة من عدم الاستقرار الأمني منذ منتصف يوليو، حيث اندلعت اشتباكات عنيفة بين مسلحين دروز ومقاتلين بدو، سرعان ما تحولت إلى مواجهات دامية بعد تدخل القوات الحكومية ومسلحين من العشائر.

وأسفرت أعمال العنف عن مقتل أكثر من 1600 شخص، بينهم عدد كبير من المدنيين الدروز، وفق آخر حصيلة وثقها المرصد السوري لحقوق الإنسان. وتخللتها انتهاكات وعمليات إعدام ميدانية طالت الأقلية الدرزية.

وشنّت إسرائيل خلال أعمال العنف ضربات قرب القصر الرئاسي وعلى مقر هيئة الأركان العامة في دمشق، تحت ذريعة حماية الأقلية الدرزية.

ورغم التوصل إلى اتفاق لوقف إطلاق النار بعد أسبوع من المواجهات الدامية، توسطت فيه الولايات المتحدة، إلا أن الوضع في المحافظة لا يزال سيئا، كما أن دخول المساعدات ومواد الإغاثة يجري ببطء بعد إغلاق الطريق الرابط بين السويداء ودمشق والانتهاكات التي تجري عبر ممر "بصرى الشام."

أما الرقة والحسكة فتسيطر عليهما قوات سوريا الديمقراطية التي تعطلت مفاوضاتها مع الحكومة بشأن تنفيذ اتفاق ثنائي وقعه الرئيس أحمد الشرع وقائد قوات سوريا الديمقراطية مظلوم عبدي في 10 مارس برعاية أميركية بسبب خلافات بين الطرفين، حيث تصر قوات سوريا الديمقراطية أن يكون الاندماج ككتلة عسكرية واحدة داخل وزارة الدفاع، فيما تتمسك دمشق ومن خلفها أنقرة بأن يكون اندماج المقاتلين بشكل فردي .

فهذا الانقسام السياسي والعسكري يشكل عقبة أمام أي عملية انتخابية في المناطق التي تسيطر عليها "قسد".

وجاء قرار إرجاء الانتخابات في هذه المحافظات بعد أن أصدر الرئيس الشرع مرسوما يقضي بالمصادقة على النظام الانتخابي المؤقت لمجلس الشعب السوري.

> المرسوم، الذي أراد معاقبة الانفصاليين، يؤسس لواقع يدفعهم إلى التشدد بدل تشجيعهم على دخول البرلمان ومناقشة مواقفهم

وفي إشارة إلى المضي قدما في التحضيرات الانتخابية في المناطق المستقرة، أعلن رئيس اللجنة العليا للانتخابات محمد طه الأحمد عن تقسيم الدوائر الانتخابية في البلاد إلى 62 دائرة ستجري فيها عملية الترشح والانتخاب.

وأوضح أن "اللجنة تباشر باستقبال مقترحات الهيئات الناخبة، في الدوائر التي تم تقسيمها حتى الوصول إلى عملية الانتخاب والفرز وإصدار النتائج".

وكان الأحمد قد أعلن الشهر الماضي أنه من المتوقع إجراء انتخابات مجلس الشعب خلال الفترة بين 15 و20 سبتمبر المقبل.

وتضمن المرسوم الرئاسي الخاص بالنظام الانتخابي المؤقت شروطا جديدة أثارت جدلا واسعا، إذ يمنع المرسوم الوزراء والمحافظين السابقين من الترشح، ويحظر ترشح "دعاة التقسيم والانفصال والاستقواء بالخارج".

وهذه الشروط تُعد إشارة واضحة إلى الدروز، الذين تظاهروا مؤخرا مطالبين بتقرير المصير ورفعوا أعلام إسرائيل، وإلى قوات سوريا الديمقراطية، التي عقدت مؤتمرا للأقليات في الحسكة شمال شرق البلاد يطالب باعتماد دستور ديمقراطي يضمن لامركزية الحكم والمشاركة الفعلية لجميع المكونات، ما أثار غضب دمشق ودفعها لإلغاء اجتماعات كان من المقرر عقدها في باريس.

ويرى البعض أن هذه الشروط تهدف إلى منع عودة رموز النظام السابق أو من يعتبرون تهديدا لوحدة البلاد، في محاولة لإعادة بناء المؤسسات على أسس جديدة، بينما يرى آخرون أنها قد تكون أداة لإقصاء أصوات معارضة معتدلة أو فئات معينة من المجتمع، ما قد يحد من التمثيل الحقيقي لمختلف شرائح الشعب السوري.

ويشير المراقبون إلى أن المرسوم الرئاسي، الذي أراد أن يعاقب الانفصاليين ودعاة التقسيم، قد أسس لواقع يدفع هؤلاء إلى المضي في دعواتهم بدل تشجيعهم على دخول البرلمان ومناقشة مواقفهم داخله.

ويحدد المرسوم عدد أعضاء مجلس الشعب بـ210 أعضاء، ينتخب ثلثاهم وفق أحكام المرسوم، مع توزيع المقاعد على المحافظات حسب التوزع السكاني. وهذا التوزيع يضمن تمثيلا نسبيا لكل منطقة، لكن إرجاء الانتخابات في ثلاث محافظات رئيسية يترك فراغا تمثيليا، ويطرح تساؤلات حول مدى جدية العملية الانتخابية في ظل الأوضاع الراهنة.

وتكشف الأحداث الأخيرة في السويداء، وتدخل إسرائيل بذريعة حماية الأقلية الدرزية، والخلافات المستمرة بين دمشق وقوات سوريا الديمقراطية، عن مدى تعقيد المشهد السوري. فالصراع لم يعد مجرد مواجهة بين الحكومة والمعارضة، بل تحول إلى شبكة معقدة تتداخل فيها الأجندات الإقليمية والدولية، ما يجعل تحقيق الاستقرار السياسي مهمة شبه مستحيلة.

ويظل مصير هذه المحافظات، ومستقبل العملية السياسية في سوريا، مرهونا بمدى قدرة الأطراف المختلفة على تجاوز خلافاتها والتوصل إلى حلول سياسية شاملة، تضمن تمثيلا حقيقيا لكل السوريين.

وفي يونيو، قال رئيس اللجنة العليا للانتخابات محمد طه الأحمد خلال مؤتمر صحفي "لا ندّعي أننا بصدد تنظيم انتخابات تقليدية، بل انتخابات تسلك مسارا فرضه واقع المرحلة الانتقالية والمسؤولية الوطنية."

وأشار الأحمد إلى أن الانتخابات ستُجرى في جميع المحافظات السورية "قدر الإمكان"، وفي حال تعذر الوصول إلى المناطق الشرقية، سيتم التواصل مع وجهائها لتشكيل لجان فرعية.

وبحسب الأحمد، فإن "المرسوم الرئاسي أوضح توزيع المقاعد على المحافظات، ثم سيتم توزيع هذه المقاعد على المناطق ضمن المحافظات نفسها، وفقا للتوزيع السكاني، وهذه النسبة قابلة للتغيير حسب كل محافظة، وأن اللجنة العليا في برنامج عملها ستقوم بزيارات ميدانية إلى المحافظات."

«الحياة والأمل 2».. قافلة طبية إماراتية تصل إلى مستشفيات غزة

أبوظبي - أعلنت وكالة أنباء الإمارات، السبت، أن قافلة طبية إماراتية وصلت إلى قطاع غزة المحاصر، الذي يعاني حرب إبادة ومجاعة، وخرجت أغلب مستشفياته من الخدمة، في ظل نقص حاد في المستلزمات الطبية والأدوية، وتدهور الوضع الصحي بالقطاع.

وذكرت الوكالة الإماراتية الرسمية أن عملية "الفارس الشهم 3" قدمت قافلة "الحياة والأمل 2" لدعم مستشفيات غزة وتعزيز قدرتها على مواصلة تقديم الخدمات الصحية للمرضى والجرحى في القطاع.

وأشارت إلى الإعلان عن تفاصيل القافلة التي وصلت إلى القطاع، خلال مؤتمر صحفي عُقد في مستشفى ناصر بمدينة خان يونس (جنوب)، حيث أوضح الدكتور عبدالرحمن حمد العرياني، مدير المستشفى الميداني الإماراتي، أن المستشفى يواصل تقديم المساعدات الطبية لدعم القطاع الصحي في غزة.

وأشار العرياني إلى أن القافلة الأخيرة شملت "كميات من الأدوية والمستلزمات الطبية المتنوعة، بهدف التخفيف من معاناة الأشقاء الفلسطينيين وتعزيز صمود القطاع الصحي في ظل الظروف الصعبة."

كما ثمن الدكتور محمد زقوت، المدير العام للمستشفيات بوزارة الصحة في غزة، الدور الإماراتي الإنساني والقوافل الطبية التي تقدمها للقطاع.

وقال زقوت إن وصول الأدوية والمستلزمات إلى المستشفيات يمثل "إضافة نوعية للخدمات الصحية المقدمة للمرضى والمصابين في غزة، ويعكس التضامن الحقيقي مع أبناء القطاع في أصعب الظروف."

وأضاف أن الدعم "يأتي في وقت يعاني فيه القطاع الصحي من نفاد المخزون من الأدوية والمستهلكات الطبية، ما يجعل القوافل الطبية عاجلة ومهمة للغاية".

وتندرج هذه القافلة ضمن سلسلة من القوافل والمساعدات التي تواصل الإمارات تقديمها عبر عملية "الفارس الشهم 3"، في إطار التزامها الإنساني الدائم بدعم الشعب الفلسطيني وتعزيز صمود القطاع الصحي في غزة، وفق الوكالة.

و"الفارس الشهم 3"، حملة إنسانية انطلقت في 5 نوفمبر 2023 بتوجيه من رئيس الإمارات الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، بهدف إيصال المساعدات الغذائية والطبية إلى المناطق الأكثر تضررا في غزة.

> القافلة شملت كميات من المستلزمات الطبية المتنوعة، بهدف التخفيف من معاناة الأشقاء في قطاع غزة

ولم تقتصر الجهود الإماراتية على إرسال المواد الإغاثية من أغذية وأدوية، بل توسعت لتشمل مشاريع إستراتيجية طويلة الأمد، تستهدف معالجة الأزمات الهيكلية التي يعاني منها القطاع، وفي مقدمتها أزمة المياه.

وأعلنت الإمارات عن مشروع إستراتيجي لضخ المياه المحلاة من مصر إلى جنوب غزة، عبر خط ناقل بطول 6.7 كيلومترات وبقطر 315 ملم، انطلاقًا من محطة تحلية تم إنشاؤها بدعم إماراتي على الجانب المصري.

نتنياهو يبلغ الأميركيين أنه سيواصل حرب غزة لعقود

تل أبيب - أعلن المتحدث السابق باسم وزارة الخارجية الأميركية ماثيو ميلر أن رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو أبلغ واشنطن بأنه سيواصل الحرب على غزة لعقود، وأن الإدارة الأميركية كانت مدركة لتعنته بشأن وقف إطلاق النار.

جاء ذلك في مقابلة مع القناة 13 الإسرائيلية، الجمعة، حيث أوضح ميلر أن وزير الخارجية آنذاك، أنتوني بلينكن، حذر إسرائيل في وقت مبكر من انطلاق الحرب من أنه "دون خطة واضحة لمستقبل غزة، فإنها تخاطر بمواجهة تمرد لا نهاية له".

ويرى مراقبون أن الهدف من الحديث عن إدامة الحرب لعقود هو تخفيف الضغط عن حكومة نتنياهو مع تزايد الانتقادات والدعوات لوقف الحرب داخل البيت الإسرائيلي خشية فقدان الرهائن وتكبد المزيد من الخسائر في مغامرة لا أحد يعرف نهايتها.

وأشار إلى أن رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو رد على تحذيرات بلينكن قائلا "أنتم محقون. سنواصل هذه الحرب لعقود قادمة. لقد كان الأمر كذلك حتى الآن، وسيبقى كذلك مستقبلاً".

وأكد ميلر أيضاً صحة التقارير التي تفيد بأن وزير الأمن القومي المتطرف إيتمار بن غفير ووزير المالية بتسلئيل سموتريتش قد عرقلا ما لا يقل عن خمس مرات اتفاقيات لتبادل الأسرى في غزة.

كما أوضح أن الولايات المتحدة كانت تدرك أن إسرائيل تعرقل جهود وقف إطلاق النار، لكنها لم تعترض على ذلك، مضيفاً "لم يكن لدينا تفويض واسع. أحياناً لم يكن لدينا أيّ تفويض على الإطلاق".

وتابع قائلاً إن الإدارة الأميركية - في عهد الرئيس السابق جو بايدن- ناقشت في بعض الأحيان الإعلان على الملأ عن أن نتنياهو يتصرف بشكل متعنت ويجعل التوصل إلى اتفاق أكثر صعوبة، لكنها قررت في النهاية أن ذلك لن يجدي نفعاً.

> الهدف من الحديث عن إدامة الحرب لعقود هو تخفيف الضغط عن حكومة نتنياهو مع تزايد الانتقادات داخل البيت الإسرائيلي

ودافع رئيس الوزراء الإسرائيلي قبل أسبوعين عن خطته المثيرة للجدل بشأن السيطرة على كامل قطاع غزة، زاعما أن خطته "أفضل وسيلة لإنهاء الحرب."

وتشهد إسرائيل حالة من التباين حيال الخطة، وسط دعوات اليمين المتطرف لزيادة الضغط العسكري على حماس ومطالبات عائلات الرهائن باتفاق يتيح عودتهم.

وقال نتنياهو في مؤتمر صحفي أمام وسائل إعلام أجنبية "هدفنا ليس احتلال غزة بل إيجاد إدارة مدنية في القطاع لا تتبع حماس ولا السلطة الفلسطينية."

وادعى أنه "لا يريد أن يطيل زمن الحرب وأنه يريد إنهاءها،" لافتا إلى أن هناك "جدولا زمنيا قصيرا نسبيا" في ذهنه للخطوات المقبلة في غزة.

وشدد على أن إسرائيل ليس لديها خيار سوى إكمال المهمة وهزيمة حماس، نظرا إلى رفض الحركة إلقاء سلاحها.

وبعد مرور 22 شهرا على اندلاع الحرب إثر هجوم حماس على إسرائيل في السابع من أكتوبر 2023، يواجه نتنياهو ضغوطا داخلية بشأن مصير الرهائن الـ49 الذين ما زالوا محتجزين في القطاع، وخارجية على خلفية الحصار والأزمة الإنسانية الحادة التي تطال أكثر من مليوني نسمة يسكنون القطاع، وتحذر الأمم المتحدة من أنها بلغت شفا المجاعة.

وحذر مسؤول كبير في الأمم المتحدة من أن خطة إسرائيل للسيطرة على مدينة غزة قد تتسبب في "كارثة جديدة" مع تداعيات تتجاوز القطاع المحاصر والمدمّر.

وقال مساعد الأمين العام للأمم المتحدة ميروسلاف جينكا أمام مجلس الأمن الدولي "إذا تم تنفيذ هذه الخطط، فقد تؤدي إلى كارثة جديدة في غزة، تتردد أصداؤها في أنحاء المنطقة، وتتسبب في المزيد من النزوح القسري وعمليات القتل والدمار."

في المقابل انتقد وزير المالية الإسرائيلي بتسلئيل سموتريتش، أحد أبرز وجوه اليمين المتطرف في الحكومة الإسرائيلية، اقتصار الخطة على السيطرة على مدينة غزة.

وقال سموتريتش في مقطع مصوّر إن "رئيس الوزراء والكابينت خضعا للضعف. العواطف غلبت المنطق، واختارا مرة جديدة تكرار الأمر ذاته، إطلاق عملية عسكرية هدفها ليس تحقيق النصر الحاسم، بل فرض ضغط محدود على حماس لتحقيق اتفاق جزئي بشأن الرهائن."

وأضاف "قررا مجددا تكرار المقاربة ذاتها، إطلاق عملية عسكرية لا تهدف للوصول إلى حل حاسم."

خيار عسكري مفتوح

العرب
الأحد 2025/08/24
السنة 48 العدد 13585

المعركة الحقيقية في لبنان داخل البيت الشيعي

من الصعب التخلص من نفوذ الثنائي الشيعي

ياسين فواز
مدير أعمال أميركي
وخبير أمني

قال نعيم قاسم، الأمين العام لحزب الله، في 15 أغسطس "لا حياة للبنان" إذا حاولت الدولة نزع سلاح الجماعة. لكن تهديداته لم تكن موجّهة للحكومة فحسب.

لقد كان قاسم يرسم خطا دفاعيا حول المعسكر السياسي الشيعي، ويتحدى القوى الخارجية والمنافسين المحليين على حد السواء أن يتجاوزوه.

وكان توقيت التصريح مقصودا، فبعد أشهر من ضغوط واشنطن والمانحين الدوليين، تحولت الحكومة اللبنانية من الوعود الرمزية إلى إجراءات ملموسة. وكلّفت الجيش بإعداد خطة تضع السلاح تحت سلطة الدولة وحدها، وتؤيد أهداف خارطة الطريق المدعومة من الولايات المتحدة.

ردا على ذلك، انسحب حزب الله وحلفاؤه الشيعة من جلسة للحكومة اللبنانية، وأدانوا الخطوة باعتبارها مُملاة من قوى خارجية، وهددوا باحتجاجات واسعة النطاق إذا فُرضت "المواجهة". ولاح شبح صراع بين دولة تسعى لتثبيت نفسها وميليشيا لا تزال تدّعي أنها حامية الوطن.

ويُدرك قادة لبنان أن مجرد وضْع مخططات على الورق لا يُمكن أن يفكك قوة صاغتها الحرب، وقدّستها المقاومة، وأصبحت راسخة في مؤسسات الدولة. ومع ذلك، فإن البيئة السياسية آخذة في التحول.

ومنذ أكتوبر 2023 دمّرت إسرائيل بنية حزب الله التحتية، واغتالت شخصيات بارزة، وأبرزها أمينه العام المخضرم، حسن نصرالله، في سبتمبر 2024.

واستوعب حزب الله الصدمة، وعيّن قادة جددا، وكيّف إستراتيجياته. ومع ذلك، ازداد الاستنزاف والأضرار المادية وضغوط إعادة الإعمار.

وتأكل التسامح خارج معاقل الجماعة في الجنوب والبقاع. وامتد هذا الاتجاه حتى داخلها، حيث يُصارع إرهاق الحرب الآن الكبرياء الطائفي. ومع ذلك، يبقى موقف قاسم ثابتا: لن يتحقق سيناريو نزع السلاح حتى تتوقف الاعتداءات الإسرائيلية وتُخلى الأراضي المتنازع عليها.

وتتجاوز أحدث مبادرة حكومية التنازلات اللبنانية المعتادة. وقد كلّف مجلس الوزراء الجيش بوضع خطة عملية تتضمن جداول زمنية وتسلسلا وآليات لإعادة تأكيد احتكار الدولة للقوة بحلول نهاية الصيف، مع التزام الوزراء صراحة بمبدأ أن جميع الأسلحة يجب أن تبقى في أيديها وحدها.

وقدّم كبار المسؤولين، لتأكيد عزمهم، هذه الخطوة على أنها أساسية لإيصال المساعدات وإنعاش البلاد بعد أزمة وصراع طويلين. وليست مجرد مغامرة تكنوقراطية، بل هي محاولة لإعادة رسم الحدود بين دولة ذات سيادة وحزب يُصرّ على أن يكون حركة وجيشا في نفس الوقت.

وكان ردّ حزب الله مألوفا، حيث رفض القرار باعتباره "أوامر أميركية". كما حذّر من توريط الجيش في النزاعات الداخلية، واستحضر ذكرى عام 2008، حين سيطر مسلحون لفترة قصيرة على أجزاء من بيروت الغربية.

ويرى الحزب أن الحكومة ارتكبت "خطيئة جسيمة" ويتعهد بالتعامل مع القرار "كما لو أنه غير موجود"، ما لم يُجبر على التحرك. وندد رئيس الوزراء نواف سلام بهذا القرار ووصفه بأنه تهديد "غير مقبول" بحرب أهلية. وفي غضون ذلك أبلغ الرئيس جوزيف عون، المنتخب في وقت سابق من هذا العام، مبعوثين إيرانيين أن لبنان يرفض التدخل الخارجي، حتى إثر تعهد طهران باحترام الخيارات المتخذة "بالتشاور مع المقاومة". إن المناورات معقدة، والمخاطر واضحة.

ومع ذلك، فإن تصوير هذا المشهد على أنه صدام مباشر بين دولة "وطنية" وميليشيا "طائفية" يغفل جوهر السياسة اللبنانية. وتكمن ساحة المعركة الحقيقية في واقع الأمر داخل الطائفة الشيعية نفسها.

واعتمدت السياسة الشيعية على ركيزتين خلال أربعة عقود: حزب الله (الحزب العسكري الديني المهيمن)، وحركة أمل (الحركة السياسية ذات الطابع التقليدي تحت قيادة نبيه بري، رئيس مجلس النواب المخضرم والوسيط البارع في الصفقات اللبنانية). وكان الطرفان متنافسين في السابق، ثم ارتبطا معا تحت إشراف سوري في التسعينات. ومنذ ذلك التحوّل حمل حزب الله سلاح المقاومة وخطاباتها، بينما سيطرت حركة أمل على مؤسسات الدولة ووزاراتها ومحسوبيتها، محولة القوة الطائفية إلى نفوذ مؤسسي.

> ما الذي قد يدفع بري إلى التحرّك؟ لقد اعتمدت فترة ولايته الطويلة كرئيس للبرلمان منذ 1992 على الموازنة بين الرعاة الإقليميين

وصُمّم خطاب قاسم لتجسيد الوحدة: اتحدت حركة أمل وحزب الله كجبهة واحدة. وتُشكّل هذه الوحدة الحاجز الحقيقي بالنسبة إلى الحكومة والغرب.

نظريا، يمكن لرئيس وزراء سنّي ورئيس ماروني ادعاء السيادة الوطنية لمعارضة أي فصيل مسلح خارج سلطة الدولة. لكن مثل هذه الخطوات تُخاطر عمليا بتعزيز القوة التي يُعارضانها. ويزدهر حزب الله بسرديته عن الدفاع عن طائفة مُهمّشة تاريخيًا ومُهددة من إسرائيل وخصومها المحليين. وتنسجم تصريحات الحكومة ذات القيادة السنية أو تحذيرات القادة المسيحيين تمامًا مع هذه القصة. وكلما ازدادت طائفية صورة نزع السلاح ازداد دعم قاعدة حزب الله لسلاحه. وغالبًا ما تفشل الدعوات الغربية لهذا السبب في صياغة حل "وطني" عبر الإطار الطائفي اللبناني: فالشرعية هنا تتدفق عبر الطوائف، وليس بالتساوي عبر النظام السياسي.

ويُبرز هنا الدور المحوري الذي يشغله بري. وستكون العواقب وخيمة إذا ابتعدت حركة أمل تدريجيا عن حزب الله، لا من خلال قطيعة دراماتيكية تُنذر بصراع داخلي، بل من خلال إعادة تموضع ثابتة وواضحة. أولاً، ستتلاشى صورة الدعم الشيعي الموحد. وسيشعر العديد من الناخبين والناشطين والاتحادات والنقابات والمجالس الشيعية بالقدرة على التعبير علانية عما يهمس به البعض بالفعل: إن ثمن "المواجهة" التي المُدارة" التي لا نهاية لها مع إسرائيل، واقتصاد الحرب الذي تدعمه، أصبح باهظا. ثانيا، سيواجه دور حزب الله داخل الدولة (في المشتريات والجمارك والحدود والطاقة) تدقيقا من داخل طائفته، وليس فقط من منافسيه.

ثالثا، سيكتسب الجيش، الذي تعكس تركيبته التنوع الطائفي في لبنان، غطاءً سياسيا لإعادة فرض سيطرته في المناطق التي سيطر عليها حزب الله منذ زمن طويل.

ما الذي قد يدفع بري إلى التحرّك؟ غريزته هي البقاء، وليس الحرب. لقد اعتمدت فترة ولايته الطويلة كرئيس للبرلمان منذ 1992 على الموازنة بين الرعاة الإقليميين، والمنافسين المحليين، ومزاج قاعدته. لكن ثلاثة عوامل قد تُغير موقفه. العامل الأول هو الكلفة: إذا استمر نهج حزب الله في جلب التصعيد مع إسرائيل، والمزيد من الاغتيالات، والمزيد من التفجيرات، والمزيد من الدمار في الجنوب دون نتائج، فإن قاعدة أمل قد تلوم شريكها بدلا من خصومها.

ثانيا، الحافز: سيطلب بري ضمانات من الجهات الفاعلة المحلية والأجنبية بأن هيمنة حركة أمل على الساحة الشيعية ستبقى قائمة بعد الانقسام.

ثالثا، الغطاء: تأطير يُصوّر هذا التحول على أنه حماية للطائفة، لا خيانتها.

تغيب هذه العوامل اليوم. وتواصل إيران تقديم الدعم المالي والسياسي لحزب الله، محتفظة بنفوذ كبير على كلا الطرفين. وتبقى الدولة اللبنانية أضعف من أن تفرض إرادتها دون إثارة مواجهة لا يمكنها الفوز بها. وتُصرّ الولايات المتحدة وحلفاؤها على التعامل مع القضية كمشروع عابر للطوائف، معتمدة على رئيس الوزراء السني، بينما تضغط على الرئيس الماروني، وتسعى إلى بلوغ "توافق وطني". لكن مصير حزب الله سيُحسم في الضاحية وصور والنبطية، وليس في القصر الرئاسي.

وإذا بقي حزب الله وأمل متحدين، فمن شبه المؤكد أن جهود الحكومة لنزع السلاح ستفشل. وحتى الخطوات المحدودة، مثل استهداف الفصائل الفلسطينية أو الميليشيات الأصغر حجما، من شأنها أن تُقدّم كدليل على أهمية دور حزب الله: "المقاومة".

الخطر، كما كان دائمًا، هو أن يقع لبنان مجددًا في الشلل ويصبح ضعيفا جدًا وعاجزا عن إنفاذ القرارات، ومنقسما إلى درجة استحالة تحقيق التوافق، ومقيدا بشدة من قبل الجهات المسلحة بما يمنعه من استعادة سيادته الكاملة.

وغالبًا ما تتعامل القوى الغربية مع طوائف لبنان بصفتها أطرافا قابلة للاستبدال في دراما وطنية. لكنها في الواقع جماهير متمايزة تشاهد المسرحية نفسها. ولا يقتصر سيناريو نزع سلاح حزب الله على إقناع النخب السنة أو المسيحيين في بيروت، بل يعتمد على إقناع المؤسسة الشيعية بأن عبء المقاومة قد تجاوز كبرياءها. حتى ذلك الوقت، ستُقابل إجراءات مجلس الوزراء أو الضغوط الخارجية بتحدٍّ، وسيبقى السلاح في الأيدي نفسها التي حملته على امتداد أربعين عامًا.

هل تتخلى إيران عن أذرعها في الشرق الأوسط

د.جيرار ديب
كاتب ومحلل
سياسي لبناني

قال وزير الخارجية العراقي فؤاد حسين إنه "لا يمكن سحب سلاح حزب الله في لبنان إلا بالحوار،" وأضاف أنه "لا يمكن سحب سلاح الحشد الشعبي العراقي بالقوة".

ما صرّح به حسين يتماشى مع الزيارة الأخيرة التي قام بها أمين مجلس الأمن القومي الإيراني على لاريجاني إلى بغداد ثمّ إلى بيروت التي رأى البعض أنها ترتبط بموضوع إعادة ترتيب الأوراق الإيرانية في المنطقة من خلال التصاريح التي أطلقها على اعتبار أن لا أحد يستطيع سحب سلاح حزب الله اللبناني والعراقي تحت أي ضغط، حتى لو كان أميركيًا.

أتت الجولة المكوكية للاريجاني بعدما شعرت طهران بعد السابع من أكتوبر 2023، أن المنطقة ترزح تحت المظلة الأميركية، ما يعني ضرورة إقصاء أذرع إيران من المنطقة. لهذا أتى قرار الحكومة اللبنانية في 5 و7 أغسطس الجاري واضحًا من ناحية حجب الصفة الرسمية عن سلاح حزب الله والمطالبة بضرورة تسليمه.

كما في لبنان، كذلك في العراق، حيث تمارس واشنطن أقصى الضغوط لرفض تمرير مشروع قانون "الحشد الشعبي" الجديد، الذي على ما يبدو أن إقراره في البرلمان العراقي يعني ترسيخ حضور الجماعات المدعومة من إيران في العراق على حساب المصالح الأميركية في البلاد والمنطقة.

لا نقاش حول تراجع الحضور الإيراني في المنطقة، خصوصًا مع سقوط النظام السوري السابق، حيث شعرت طهران أن طريق المواصلات قطعت وأن النظام القائم الحالي لا يقبل بما كان عليه بشار الأسد الذي تحوّل إلى دمية بيد طهران. ولا شك أيضًا أن الرئيس الإيراني مسعود بزشكيان قد استمع جيدًا إلى نصيحة الرئيس الروسي فلاديمير بوتين في زيارته الأخيرة إلى طهران في مايو الماضي بالتخلي عن الحضور في الشرق أوسط والاهتمام بالمدى الجغرافي الإيراني في آسيا الوسطى ومنطقة القوقاز.

وجدت طهران نفسها أمام تحديات كبرى، وإن من كانت تجدهم حلفاء لم يقفوا إلى جانبها في حرب الـ12 يوما مع إسرائيل كما يجب. لهذا أدركت أنها مجبرة إلى العودة إلى "الواقعية السياسية"، وإن حلم بناء الإمبراطورية الفارسية اصطدم بتعقيدات كبيرة ترتبط بحلم رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو حول إسرائيل الكبرى، والمخطط الأميركي في رسم الشرق الأوسط الجديد، والأهم بانحسار الدور الروسي على صعيد المنطقة، لينتقل إلى اهتمامات كبرى تتعلق بمصلحة روسية القومية في السيطرة على إقليم دونباس الأوكراني.

تعزز إيران حضورها في منطقة آسيا الوسطى من خلال التقارب بحكم الجوار مع إسلام آباد التي زارها الرئيس الإيراني، حيث وجد أنه من الضروري تمتين العلاقة مع باكستان حيث يجمعهما عدوّ مشترك وهو تل أبيب. فإسرائيل التي دخلت في حرب مباشرة مع إسرائيل لم تزل حالة الحرب لاسيما بعد المناورة العسكرية التي أجرتها إسرائيل في البحر الأحمر الاثنين 18 أغسطس الجاري.

تعتبر باكستان أن ضرب إسرائيل لمفاعيل إيران النووية رسالة واضحة إلى مفاعيلها بعدما أطلقت تهديداتها باستخدام الصواريخ ذات الرؤوس النووية إن استمرت إسرائيل في عدوانها على إيران. هذا التهديد دفع بنتنياهو إلى كشف نوايا بلاده عن عدم السماح لأيّ دولة إسلامية أن تمتلك هذا السلاح.

كما مع باكستان كذلك مع أفغانستان، إذ رغم الخلاف مع حركة طالبان، إذ تعد إيران من بين الدول غير الغربية التي قد تعترف بحكومة طالبان. وبالنظر إلى تداخل مصالح طهران وكابول في محاربة الجماعات المتطرفة كأعداء.

لقد شهدت العلاقة بين البلدين تقلبات عديدة حتى أنها اقتربت من الحرب عام 1998 ولكن مع ظهور تنظيم الدولة الإسلامية بين 2014 و2015 ومع عجز الحكومة المركزية الأفغانية السابقة في هزيمة التنظيم بدأت تتجه طالبان.

> طهران وجدت نفسها أمام تحديات كبرى، وإن من كانت تجدهم حلفاء لم يقفوا إلى جانبها في حرب الـ12 يوما مع إسرائيل كما يجب

واللافت أنه رغم أن إيران أعربت عن قلقها تجاه محنة الهزارة الشيعة في أفغانستان إلا أنها نادرا ما اعتبرت حمايتهم أولوية في سياساتها الخارجية مفضلة التركيز على مصالحها الجيوسياسية.

أكدت وزيرة الطرق وبناء المدن الإيرانية قرزانة صادق مالواجرد الثلاثاء 19 أغسطس، خلال اجتماع في يريفان مع وزير الإدارة الإقليمية والبنية التحتية الأرميني داويت خوداتيان، تطوير البنية التحتية للنقل وتعزيز التعاون في مجالي النقل والبنية التحتية وحلّ الخلافات المتعلقة بالعبور بين البلدين. وأضافت الوزيرة التي رافقت الرئيس الإيراني في زيارة رسمية إلى أرمينيا، أن هناك توقعات بين البلدين لاستكمال الربط السككي من الخليج إلى البحر الأسود عبر الأراضي الإيرانية بالتعاون بين إيران وأرمينيا وأذربيجان.

يكتسب ممر الخليج – البحر الأسود بالنسبة إلى إيران أهمية من جوانب عدة منها الانفتاح الجيوسياسي لمصالحها الاقتصادية وتحويل إيران نقطة إستراتيجية في منطقة البلقان. إضافة إلى أن هذا الممر يفكّ الحصار الذي سعت لترجمته الولايات المتحدة على إيران عبر تعبيد ممر "زنغزور" الذي يربط باكو بالعمق الأوروبي مرورًا ببريفان، مع استثناء إيران ومصالحها في المنطقة.

استطاعت إيران تدعيم حدودها الشمالية على بحر قزوين، كذلك الأمر بالنسبة إلى حدودها الشرقية في آسيا الوسطى. كما وتحافظ إيران على حسن الجوار مع محيطها العربي، تحديدًا الخليجي، فهذا ما أكد عليه بزشكيان في تصريحه في يونيو الماضي لفتح "صفحة جديدة" مع دول الخليج.

الحوثيون ورقة إيران القوية

نتنياهو يبحث عن صورة مبهمة للنصر في غزة

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

تعدّدت تفسيرات تعنت رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو في الإصرار على احتلال مدينة غزة، والتي أطلق عليها رئيس أركانه "عربات جدعون 2، بين رغبة في مواصلة القتال لضمان تماسك حكومته، وبين إجبار حركة حماس على الاستسلام التام. وهما تفسيران قد يصعب تحقيقهما. فالحكومة مهزوزة وبين أجنحتها خلافات عميقة، وتسليم حماس يعني إعدامها سياسيا، ولا يضمن وقف الحرب معها.

يعلم نتنياهو هذه النتيجة جيدا، ويحاول إيجاد مساحات جديدة تمكنه من المناورة وعدم استنزاف ما يملكه من أوراق متعددة، ويضع شروطا مختلفة من حين إلى آخر، حتى يحصل على صورة كبيرة للنصر الذي يريده.

نتنياهو يلعب على وتر أن حماس لا تميل إلى توقيع صفقة تقود إلى خروجها من المسرحين العسكري والسياسي مهما بلغت الخسائر

على مدار نحو عامين من الحرب لم يتمكن من تحرير أيّ من الأسرى والمحتجزين بالأدوات العسكرية لدى حماس، وكل من تم استرجاعهم كانوا من خلال المفاوضات، التي عندما تصل إلى مستوى إيجابي يتنصل منها في المتر الأخير.

يشير هذا التوجه إلى أن الرجل يملك في جعبته أجندة ويريد تنفيذها تدريجيا، ولم يكشف عن تفاصيلها، ربما تتعلق بما تحدث عنه حول إعادة هندسة الشرق الأوسط، أو تلميحه أخيرا حول ما يسمى بـ"إسرائيل الكبرى"، أو أنه لا يملك أجندة محددة أصلا ويبحث فقط عن تطور يساعده في النزول بسهولة من على شجرة صعد إليها، يبعده عن شبح محاكمة تنتظره بمجرد وقف الحرب، حيث يعلم أنها ستقوده إلى السجن، وأن الحماية التي وفرها له منصبه لن تفيده عقب ابتعاده عن رئاسة الحكومة، وإذا أجريت انتخابات في هذه الأجواء لن يتمكن اليمين في إسرائيل من الحصول على أكثر من ستين مقعدا، وفقا لآخر استطلاعات رأي، ويعيرها نتنياهو اهتماما كبيرا.

لم يتمكن الرئيس الأميركي دونالد ترامب من أن يوفر لنتيناهو صورة النصر التي يسعى إليها، بعد أن أمهله أكثر من فرصة عبر دعم واشنطن لفريقه على طاولة المفاوضات وتوفير كل ما يطلبه من أسلحة في ساحات القتال، وقد يشعر ترامب بالضجر من صديقه نتنياهو إذا لم يتمكن من الحصول على الصورة المطلوبة، والتي حتى الآن لا أحد يعرف ملامحها كاملة، ما يشي بأنها غير موجودة في الواقع، أو تتوارى في عقله حتى يعلن عنها في اللحظة الحاسمة، وربما تكون مشوشة، وتحتاج إلى وضع رتوش عليها تجعلها مفهومة من قبل جمهوره.

لا تمثل صورة النصر عائقا حقيقيا، فبعد رد حماس الإيجابي أخيرا حول مبادرة ستيف ويتكوف مبعوث الرئيس الأميركي، تحدث نتنياهو عن الضغط الذي أجبر قيادة الحركة على التجاوب مع المبادرة، في محاولة لترويج منطقه في أن العمليات العسكرية هي اللغة الوحيدة التي تفهمها حماس.

وقالت وزارة الخارجية القطرية صراحة إن حماس وافقت على 98 في المئة منها، ثم تراجع مكتب نتنياهو وسرّب معلومات حول ضرورة عقد صفقة شاملة تتضمن شروطه وتؤدي إلى الإفراج عن كل الأسرى دفعة واحدة، وبعد أن ارتفعت أصوات أهالي الأسرى، نشرت معلومات حول إمكانية إرسال وفد إسرائيلي للتفاوض في القاهرة أو الدوحة.

في خضم هذه التحولات، تستمر قيادة الجيش في تجهيزاتها لتنفيذ عملية "عربات جدعون 2، والتي قد لا تمكن نتنياهو من الحصول على أيّ صورة جيدة للنصر، لأن التحديات التي ستواجهها على الأرض صعبة، والحرب وسط شوارع مدينة غزة يمكن أن تكون في صالح عناصر حماس، حيث يجيدون الكر والفر، وربما تؤدي إلى أسر جندي أو أكثر، وهي صورة تبحث عنها حماس حاليا، وكثفت جهودها من أجل تحقيقها، لأنها تحرج نتنياهو وجيشه، وعلى الرغم من عدم أهميتها عسكريا، إلا أن قيمتها السياسية سوف تضاعف الضغط على الجيش الإسرائيلي، ومن ثم نتنياهو.

كما أن ردود الفعل الدولية على ما يحدث في غزة وتعثر دخول المساعدات الإنسانية بكميات وفيرة زادت الأيام المقبلة، وجاء حديث الأمم المتحدة عن وقوع مجاعة لأول مرة، وإشارات جهات عديدة إلى وجود إبادة جماعية، كلها عوامل تحرم نتنياهو من أيّ صورة نصر يمكن أن يحصل عليها، لأن الحرب غير متكافئة، والمشاهد القاسية التي تنقل عبر وسائل الإعلام لم تعد إسرائيل قادرة على التحكم فيها، بل إن الرئيس ترامب نفسه طالب بدخول صحافيين إلى غزة لنقل صورة واقعية، ويبدو أن مستشاريه لم ينقلوا إليه ما يجري في القطاع بشكل دقيق، ويعتمد فقط على ما يصله من نتنياهو ومستشاريه حول نفي المجاعة والإبادة.

أبدى نتنياهو استعداده للعودة إلى التفاوض تحت وقع استمرار إطلاق النار، كأن كل الجولات السابقة كانت تتم في هدوء، بما يؤكد أن العملية العسكرية في مدينة غزة لن تتوقف.

والمثير في تصرفات إسرائيل الجديدة أنها غيرت كثيرا الصورة النمطية عنها في مسألة التهديد من أجل المناورة أو كأداة للضغط، وبات جزء كبير من التهديدات يتم تنفيذه لإضفاء مصداقية على توجهاتها، وأن الردع خير وسيلة للدفاع، وتركت تجربة طوفان الأقصى درسا قاسيا حول ضرورة القيام بخطوات استباقية عندما يكون هناك شك في شيء أو خطر تبلغ نسبته أقل من 1 في المئة، فالصور السيئة التي خلّفتها عناصر حماس وهم في غلاف غزة لن تبارح أذهان إسرائيليين سنوات طويلة.

يعلم نتنياهو ما يدور في عقل حماس، ويعلم أنها غير راغبة في ترك القطاع، مهما تكبد سكانه من خسائر مادية ومعنوية، ولا تميل قياداتها إلى توقيع صفقة تقود إلى خروجها من المسرحين العسكري والسياسي، ويلعب على هذا الوتر كي يضمن استمرار الحرب لأطول فترة، وعندما وافقت الحركة على غالبية بنود مبادرة ستيف ويتكوف تحت ضغوط خارجية وفصائلية، جاءها حبل الإنقاذ من نتنياهو نفسه، فهي أيضا ترفض الاستسلام وتبحث عن صورة نصر مقابلة.

ولم تعد المشاهد الكثيرة للضحايا والجوعى والأطفال والنساء كافية لإدانة إسرائيل، وهو ما راهنت عليه حماس دوما، فالمجتمع الدولي اعتاد على رؤيتها، والناس لا يتحركون بالشكل الكافي الذي يحرج إسرائيل أخلاقيا، وإن تحركوا لم تعد ضغوطهم الرمزية تمثل عبئا ثقيلا على حكومتها، ونجحت الآلة الإعلامية في تكرار المشاهد الإنسانية للدرجة التي لا تثير اشمئزاز كثيرين، وتحوّلت الصور التي من الواجب أن تصبح إدانة لإسرائيل إلى أداة توحي بكسر إرادة الفلسطينيين، وإنهاك أجسادهم والنيل من أطفالهم ونسائهم، وإحباطهم ومن يقفون إلى جوارهم معنويا.

تتعدد صور الهزيمة وتتباين صور النصر على الجانبين، ويميل نتنياهو إلى تجاوز عملية التقاط الصورة التي تنقذه سياسيا، لأن أوانها فات، والبحث يجري عن توقيت مناسب، يقصر أو يطول، يعلن فيه رئيس الوزراء أن أهدافه جميعا تحققت، وليس شرطا أن يصبح الوضع الميداني والسياسي متوافقا مع ذلك، فالآلة الإعلامية الجبارة تستطيع تقديم الشيء ونقيضه، إذا اختارت إسرائيل مشهد النهاية، بلا نظر إلى مكونات الصورة وما تحويه من تفاصيل دقيقة.

الاستمرار في تدمير القطاع دون ضوابط

الإستراتيجية الخفية لسياسة طهران النووية

مالك الحافظ
كاتب وباحث سوري

تصريحات طهران الأخيرة حول تأجيل المفاوضات النووية والتي جاءت على لسان وزير خارجيتها عباس عراقجي بتصريح يقول فيه إنّ الظروف لم تنضج بعد لبدء مفاوضات نووية "فعّالة" مع واشنطن، كانت تكثيفا لمسار طويل اعتمدته إيران في إدارة أزماتها مع الغرب. فبدلاً من تقديم حلول واضحة أو الدخول في تسويات جادّة، تواصل إيران استثمار الزمن كأداة تفاوض، وتحويل المأزق النووي إلى وسيلة لإبقاء حضورها الدولي قائماً.

والسؤال الجوهري هنا؛ هل تبحث طهران حقاً عن تسوية أم أنها تسعى لإطالة عمر اللعبة النووية بوصفها ورقة قوة وحيدة تبقيها حاضرة على الطاولة الدولية؟

منذ بداية المفاوضات النووية، لم تُظهر إيران ميلاً لتقديم أجوبة نهائية، بل واصلت إنتاج الغموض بوصفه جزءاً من أسلوبها في إدارة الملف. كل جولة تفاوضية تتحول إلى مساحة لإعادة طرح الشروط بطريقة تجعل النقاش دائراً بلا مخرج محدد. فالمماطلة هنا ليست عرضاً طارئاً، وإنما نمط متجذّر يُبقي العملية التفاوضية مفتوحة إلى أجل غير معلوم ويحوّل مرور الزمن إلى عنصر فاعل بحد ذاته.

إيران تعيش على ازدواجية الخطاب. تقول إنها لن تقطع التعاون مع الوكالة الدولية، لكنها في المقابل تقيّد وصول المفتشين عبر قوانين داخلية وتشريعات برلمانية. هذا التناقض المقصود يمنح للإيرانيين نافذة مفتوحة للتفاوض، مع الإبقاء على القدرة على المناورة وابتزاز الأطراف الأخرى. هي لعبة الغموض البنّاء التي تسمح للنظام بالقول إنه لا يرفض التفاوض من حيث المبدأ، وفي الوقت نفسه لا يلتزم به عملياً.

المماطلة ليست فقط أداة خارجية، هي ورقة داخلية أيضاً، فالنظام الإيراني يواجه ضغوطاً اقتصادية خانقة من تضخم متصاعد، وبطالة، ونقص في الكهرباء والماء، وغضب اجتماعي يزداد. أمام هذا المشهد، يشكّل الملف النووي أداة لتبرير الأزمات وتحويل الأنظار. عبر التأجيل، يبعث النظام برسالة مزدوجة للداخل؛ فمن جهة يظهر متشدداً في مواجهة الغرب، ومن جهة أخرى يتذرّع بأنّ "المعركة النووية" هي سبب المعاناة، ما يخفّف من مسؤولياته المباشرة عن الأزمات.

الملف النووي تحول من ملف تفاوضي إلى بنية سياسية بحد ذاتها، ليكون أداة للحكم، ووسيلة لضبط الداخل، وآلية لابتزاز الخارج

بينما تضغط القوى الغربية لإنقاذ الاتفاق النووي وتلوّح بالعقوبات، تبدو إيران عالقة في حلقة الانتظار. الفرصة التي قد تتيح لها رفع العقوبات أو إعادة دمج اقتصادها العالمي تضيع يوماً بعد يوم. المراهنة على الزمن قد تمنحها بعض المكاسب التكتيكية، لكنها على المدى الطويل تجرّدها من مصداقيتها وتجعلها عالقة بين ضغوط الخارج وانفجارات الداخل.

عند النظر إلى التجربة الإيرانية اليوم، يصعب تجاهل الشبه العميق مع ما فعلته كوريا الشمالية على مدى العقود الماضية. بيونغ يانغ أتقنت لعبة المفاوضات العقيمة، فهي كانت تبدأ حواراً، تقدّم وعوداً عامة، توقّع على اتفاقيات إطارية، ثم تعود لتنسفها بعد فترة قصيرة بذريعة عدم التزام الأطراف الأخرى. بهذه الطريقة، تمكّنت من شراء الوقت، واستثمرت كل جولة تفاوضية في تطوير قدراتها النووية والعسكرية بعيداً عن الأضواء.

إيران، في خطابها وممارساتها، تسير في مسار مشابه. فهي لا ترفض المفاوضات تماماً حتى لا تبدو دولة مارقة بالكامل، لكنها تحوّلها إلى مسرح لإعادة تدوير الوقت. والنتيجة واحدة تكون متمثلة بإطالة عمر المشروع النووي تحت ستار الحوار. الفارق الأساسي أنّ كوريا الشمالية حوّلت مماطلاتها في النهاية إلى امتلاك سلاح نووي معلن، بينما ما تزال إيران عالقة في المنطقة الرمادية بين التخصيب العالي وبين السلاح الكامل. لكنّ التشابه في النهج يكشف أنّ طهران لا تبحث عن حل جذري، بل عن إعادة إنتاج النموذج الكوري الشمالي في نسخة شرق أوسطية.

من منظور تفكيكي، يمكن القول إنّ إستراتيجية إيران لا تقوم على بناء تسوية بقدر ما تقوم على إنتاج أزمة دائمة، فهي تخلق واقعاً رمادياً لا هو تفاوض حقيقي ولا هو قطيعة كاملة. بهذا الشكل، يتحوّل النووي من ملف تفاوضي إلى بنية سياسية بحد ذاتها، ليكون أداة للحكم، ووسيلة لضبط الداخل، وآلية لابتزاز الخارج.

لكن هذا النهج مهما كان ناجعاً على المدى القصير، يعكس في جوهره ضعفاً بنيوياً، وهو ما سيؤدي إلى غياب القدرة على الحسم، وتحوّل الدولة إلى لاعب أسير لعبة أوراق بدلاً من أن تكون فاعلاً يمتلك مشروعاً واضحاً.

لا يمكن فهم المماطلة الإيرانية في الملف النووي من زاوية واشنطن وحدها، وإنما لا بد من قراءتها في سياقها الإقليمي. فطهران تدرك أن أيّ خطوة جادّة نحو اتفاق أو مواجهة ستترك أثرها المباشر على توازنات المنطقة، ولهذا تبقي اللعبة في حالة تعليق دائم.

بالنسبة إلى إسرائيل، فإن استمرار الغموض النووي الإيراني يشكّل ذريعة جاهزة للتصعيد والتهديد العسكري، ويمنحها مبرراً لتوسيع تحالفاتها الأمنية في المنطقة. وبالنسبة إلى دول الخليج، فإن المماطلة الإيرانية تُبقيها أسيرة هاجس أمني دائم، وتجعلها أكثر التصاقاً بالمظلة الأميركية أو بالترتيبات الدفاعية المشتركة. بهذا المعنى، تستثمر إيران في إبقاء جوارها في حالة توتر مستمر، بحيث تتحول إلى طرف لا يمكن تجاوزه في أيّ معادلة إقليمية.

الأدهى أن هذه المماطلة تتيح لطهران مجالاً لتوسيع نفوذها في ساحات أخرى؛ من اليمن إلى العراق ولبنان، عبر استخدام الملف النووي كأداة تفاوض غير مباشرة. فهي تقول لجيرانها إن لم يقبلوا بدورها الإقليمي فستبقى معضلة النووي تهديداً قائماً على أبوابهم. بهذه الإستراتيجية، يتحول النووي من مجرد ملف تفاوضي إلى مفتاح إقليمي يسمح لإيران بفرض حضورها على مسرح الشرق الأوسط، ومن خلال إنتاج التوتر الدائم فقط.

الدبلوماسية الإيرانية وشراء الوقت

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني
رئيس التحرير
محمد أحمد الهوني
مدير التحرير
مختار الدبابي
المدير الفني
سعيدة اليعقوبي
www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
الأحد 2025/08/24
السنة 48 العدد 13585

ملامح التغيير في الإدارة التركية: الكفاءة تتقدم على الأيديولوجيا

هل تقود تغييرات أردوغان إلى انحسار يمين الوسط المحافظ

التغييـر الحكومـي في تركيا قادم، لكن المشـكلة إن كان قادرا فعلا على إحداث التغيير الذي يريده الرئيس رجب طيب أردوغان، أم أنه سيكتشـف أن التعديل الحكومي لن يجل المشكلة لأنها بالأساس بنيوية ولا يفيد معها أي ترقيع.

الحزب الحاكم يحتاج إلى التغيير

ازدادت مؤخراً التقارير والتسـريبات الإعلاميـة التي تتحدث عـن قرب إجراء تغيير في التشـكيلة الحكومية التركية، وحتـى أن إحدى الصحـف تحدثت عن أن الرئيـس رجـب طيب أردوغـان دعا وزراءه إلى ما سـماه «العشاء الوداعي» فـي تلميح إلـى أن التغيير الحكومي قد يتحقق في أيّ لحظة.

ولكن إذا ما وضعنا الأمر في سـياق أوسع، نرى أن أردوغان بدأ ينحو منحىً جديداً فيـه اعتماد أكبر علـى الكفاءات العلميـة والخبرات، لدرجة نرى معها أن الاعتمـاد على الأيديولوجيـا الإخوانية بـات أقل مـن ذي قبل، ولعل أهم سـبب دفعـه لتبني هـذا الـرأي هو شـعوره بـأن الجمهور لا يفهمه، فهـو في حاجة إلـى أدوات أكثر فاعلية ليشـرح نفسـه للجمهـور، أدوات تسـتخدم نفـس لغة الشارع وليست بالضرورة محصورة في قالب أيديولوجي معين. ولكن هل سيعني هذا انحسـار التوجه الإخواني، أو يمين الوسـط المحافظ، كما يحـب أردوغان أن يصفه، داخل الحزب؟ وهل يكون «شـرح الـذات» إن جـاز التعبيـر هـو المفتاح الضائـع الذي يبحث عنـه أردوغان منذ ثمانية أعوام دون جدوى؟

وهن العدالة والتنمية

نبـدأ من عـام 2017، كان أردوغان قد تمكـن من تغييـر النظام السياسـي في البلاد إثر اسـتفتاء شعبي، وتحويله من برلمانـي إلى رئاسـي، ومنح نفسـه حق جمع منصب رئاسـة الجمهورية وزعامة حزب سياسـي، فعاد إلى «حزب العدالة والتنميـة» بعـد أن كان قد غـادره على الورق.

ولكـن كان هنـاك أمـر يقلقـه، فاسـتطلاعات الـرأي تظهـر تراجـع شـعبية الحزب، وهـذا ما جعلـه يعقد العزم علـى إجراء تغييرات واسـعة في الحـزب والدولـة، وأطلق، خـلال أعمال مؤتمـر عـام لحزبـه، في أغسـطس من العـام نفسـه، مصطلح «إجهـاد المعدن» وهو مصطلح فيزيائي يشـير إلى الوهن وفقدان الصلابة، الذي يصيب المعدن عند تعرضه لإجهـادات متكـررة. وغيّر فعلاً الكثيـر من الـرؤوس، لعل أهمهـا إقالة رئيسي بلديتي أنقرة وإسطنبول.

ولكـن ما حـدث هـو أن التراجع في شـعبية الحزب في الانتخابـات العامة لعـام 2018 بحوالـي خمـس نقـاط عن انتخابات 2015، ولم يتمكن من استعادة شـيء من شـعبيته في انتخابـات 2019 البلدية، لا بل إنه خسر بلدية إسطنبول، التي تفـوق في أهميتها أغلب الوزارات، في سـيناريو جدير بتحويلـه إلى فيلم سـينمائي؛ واسـتمر التراجـع فخسـر حوالي تسع نقاط إضافية في انتخابات 2023 العامـة، وأما فـي انتخابات 2024 البلدية فقد هبـط ليصبح الحزب الثاني من حيث الشـعبية، على حسـاب «حزب الشـعب الجمهـوري» الذي صعـد إلى المرتبة الأولى شـعبياً بعد عقود طويلة. وتشـير اسـتطلاعات الرأي الحالية إلى أنه مستمر بالهبوط.

خلال هـذه الفتـرة حصلـت الكثير مـن التغييـرات، وأهمهـا فـي قطـاع الاقتصـاد والتمويـل، لأنـه، وبشـكل مفهـوم تماماً، كانت الأزمـة الاقتصادية عاملاً رئيسياً في تخفيف شعبية الرئيس. وهكذا تنقلت حقيبة وزارة الخزانة بين أكثر من شخص، بينهم صهره الذي استقال بأسلوب جدير بحكايات مؤامرات القصر العثماني حتى ليـكاد يكـون هروباً أكثر منه اسـتقالة. أيضـاً، الوزيـر محمـد شيمشـيك أقيل فـي البداية، ثم أعيد بعـد محاولات غير ناجحة لإحلال شـخص أفضـل منه في المنصب.

وفـي هذه المدة أقيـل حاكم المصرف المركزي عدة مـرات كذلك. وبالطبع هوى الاقتصاد، وتعاظـم التضخم، حتى بات أغلـب المحللـين الاقتصاديـين يعتبرون أن الأزمـة الاقتصادية بنيويةٍ وليسـت عابرة. فأردوغان كان مصمماً على حلها من خلال إنفاذ صارم لنظريته التي تقول «سعر الفائدة هو السبب، والتضخم هو نتيجـة» فـكان يمنع رفع سـعر الفائدة، ولكن ومـع هذا كانت معـدلات التضخم تطير محلقة، ولاحقاً أطلق العنان لسعر الفائدة حتى ارتفع لمسـتويات قياسـية، ولكـن الاقتصـاد اسـتمر بالتدهـور. فالحقيقـة أن الأزمة كانت «بنيوية» فعلاً، وحلها لـن يكون بتطبيـق نظرية نقدية فحسب، بل يتطلب تغييرات جذرية، لعل من أهمها رفع مسـتوى الإنتاج وتوزيع أكثـر عدالـة للأربـاح (بمعنـى زيـادة الرواتب) والعمل على تخفيف الاستيراد لما يمكن الاستعاضة عنه محلياً.

كان يقال أثناء كل عملية تغيير، سواء في الحـزب أو الحكومة أو المؤسسـات الإداريـة، إن أردوغـان يريـد العـودة بالحـزب إلى الأيـام الأولـى لانطلاقته، عندمـا كان الحماس في أشـده، وكانت هناك «قضية» تشد الشبان المنحدرين من تيارات قريبة من «الإخوان» إن لم يكونوا إخوانيين فعـلاً. وكان رهانه على إعادة استقطاب من يسـمون «الزعلانين» وهم عدد من المؤسسين الأوائل للحزب، الذين استبعدهم أردوغان بعدما تمكن من سدة الحكم ولم يعد في حاجة إليهم، فانكفأوا وفـي قلوبهـم زعل. وهكذا أعـاد بولنت آرنتـش وجميـل تشيتشـيك وغيرهما. ولكن التراجع الشـعبي اسـتمر. وزادت من تسارعه فضائح الفساد الكثيرة التي انكشفت في أكثر من اتجاه، وعلى رأسها الفضائـح التي كشـفها الزعيم المافيوي السابق سيدات بيكر، عن علاقة السياسة والمافيا والاستخبارات، حتى أنه تسبب بهزات حقيقية فـي الرأي العام. وكان لا بد بالتالي من البحث عن طريقة مختلفة.

تقول المؤشرات اليوم إن أردوغان غيّر نظرته حول التغيير اللازم هذه المرة، فالمطلوب شعبياً ليس إعادة عجائز ذوي انتماء إخواني متشدد إلى مسرح الأحداث. شعر الرئيس هذه المرة، بعد كل التغييرات التي يقوم بها، أن الشعب لا يفهمه. فالمطلوب إذن تغيير الخطاب. وللأمانة يُحسب للرئيس أردوغان أنه نشط جداً، رغم سنه المتقدمة وكل ما يعاني منه من أعراض صحية غير سهلة، ويبدي قدرة لا تناسب سنه على متابعة التفاصيل. وقد تسرب عنه أكثر من مرة أنه تحدث في اجتماعات حكومية وحزبية، مكرراً نفس العبارة بطرق مختلفة. ومفاد هذه العبـارة هـو: «مـن لا يقـوم بمهامه لن يستمر بمرافقتنا في مسيرتنا."

> أردوغان يُحسب له أنه نشط جداً، رغم سنه المتقدمة وكل ما يعاني منه من أعراض صحية، ويبدي قدرة لا تناسب سنه على متابعة التفاصيل

تغيير الخطة

يأتـي في طليعـة التغييـرات، التي تمـت، أو سـتتم قريبـاً، إقالـة رئيـس دائـرة التواصـل في القصر الرئاسـي، وتعيـين شـخص أكاديمـي ذي خبـرة إعلاميـة ودبلوماسـية بدلاً منـه. وهذه الدائـرة مسـؤولة عـن الإشـراف على الإعلام الرسمي وشـبه الرسمي، وليس سراً أن العشـرات من مجموعات الذباب الإلكترونـي الموالـي للسـلطة تابعـون لها. وأقيل كذلك مجلس إدارة مؤسسـة TRT المسـؤولة عـن الإعـلام الحكومي، وأتى بمجلس جديد على رأسـه شخص أكاديمي لديه نظريات حقيقية في الإدارة وفلسفة الاقتصاد. وكان الرئيس قد أقال مسؤول الإعلام والدعاية في «حزب العدالـة والتنمية» الحاكم قبل بضعة أشهر.

وأصدر الرئيس كذلك تعليمات للنواب التابعين لحزبه بالتجول في مناطقهم، والالتقاء مع مختلف الفاعليات الشعبية والاجتماعية، ومعرفة هواجسـها، ورفـع مقترحـات للأمانـة العامـة للحزب. وهذه العملية كانت – والحـق يقـال – منظمة بطريقة شديدة الدقة، فقد جرى تقسـيم البـلاد إلى أقسام، لكل منها شخص مسؤول عنها يقـوم بتنسـيق الاجتماعات فيها، ووضـع جـدول أعمـال للالتقـاء مـع الفاعليات، فهناك فاعليات حرفية وأخرى سياحية وأخرى فلاحية.. وهكذا. وهناك آلية لتبويب المطالب وترتيبها واستنتاج نتائج إحصائية منها.

وأجـرى الحزب الحاكم ورشـة عمل مغلقـة علـى مـدى يومين، فـي منتجع فـي ريف العاصمـة أنقـرة. وعقدت فيه عدة نـدوات وجلسـات حوارية، وحضر الرئيس شـخصياً عدداً منها. وبحسـب ما تسـرّب حتى الآن أن نقاشـات عنيفة شابتها، وأن سقف النقد كان عالياً لدرجة غير معهودة، ما جعل الكاتب القريب من المعارضة سـيدات بوزقورت، يشـير إلى أنهـا ربما ورشـة العمل الأكثـر نجاحاً للحزب حتـى الآن. ومن التسـريبات أن وزيـر الخزانة محمد شيمشـيك تعرض بشـكل خاص لانتقادات كثيـرة، وطالبه البعـض بوضع جدول زمنـي لرفع الحد الأدنى للأجـور، الذي يقل عن 550 دولاراً حالياً، بحيث يسـاير معدل التضخم ولا يتأخر عنه. وجرى حديث كذلك عن بعض التحديات الاقتصادية، مثل الأثر السلبي لحربي أوكرانيا وإيران على السـياحة، والجفاف الذي يضرب المناطق الجنوبية، وسـبل التعامـل معها. وتناولت سـهام النقد كذلك المنظـر غير اللبق الذي يظهر به أثرياء الحركة الإسـلامية أمام وسائل الإعلام والبذخ المبالغ فيه الذي يحيطون أنفسهم به، والمحاكمات غير العادلة التي تؤثر على الرأي العام سلباً.

ولعل أهم التسريبات التي صدرت عن الورشة هو الحديث عن التحضير لحزمة إصلاحية، للمزيد من الحريات وتخفيف الإجـراءات القمعية التي أضرت بصورة البلاد خارجاً وداخلاً. ولكن التسـريبات ذاتهـا نقلت عـن أحد مسـؤولي الصف الأول قولـه إن الحليـف «حـزب الحركة القومية» يعارض هذه الإصلاحات، وقال إن الرئيس أردوغان سيتواصل مع زعيم «الحركة القومية» دولت باهتشـلي لكي يغير موقفه.

وتقـرر كذلـك أن يطلق الحـزب حمـلات إعلامية في اتجاهين؛ اتجاه يشرح سـبب قبولـه بالتفاوض مـع «حـزب العمـال الكردسـتاني» المصنـف على أنـه حـزب إرهابي؛ واتجـاه يحـاول اسـتثمار الملاحقـات القضائيـة بحـق عـدد من قياديي «حزب الشـعب الجمهوري» المعـارض، ورؤسـاء البلديـات التابعـين لـه. فمـن اللافت أن أغلب الاسـتطلاعات تظهر أن الـرأي العام لـم يتأثر سـلباً بهـذه الملاحقـات، بـل اعتبر أنها أداة حكوميـة غير نزيهة للاقتصـاص من غريمها. وهـذه النقطة قوّت مـن رأي أردوغان بضـرورة تفعيل آلية لكي يفهمه الجمهور.

هذه الخطـوات تترافق مـع تقارير إعلامية كثيـرة تتحدث عن تغييرات في التشكيلة الوزارية. والبعض بدأ بالتنبؤ بتغيير هـذا أو غيره من الوزراء. ولكن، ودون الدخول في التفاصيل والأسـماء، فـإن السـياق العام يبـدو واضحاً هذه المرة، وهـو أن أردوغان لـم يعد يبحث عمّن يوقظ «الحنين السياسـي» إن جاز التعبير، بل عن أشخاص يؤدون مهامهم بأكبر قـدر من الجـدارة، وبأقل قدر من الفسـاد. ولكن تبقـى هناك عثـرة غير سهلة: فمهما كان خطابك الإعلامي قوياً، ومهما كان مستوى التحصيل الأكاديمي لمـن يعـدّه، وحتى لـو كان حاصلاً على جائزة نوبل نفسها، فإن صوته لن يكون مسـموعاً لدى الإنسـان الفقير أكثر من صوت بكاء ابنه الجائع.

تظهـر أرقـام مؤسسـة الإحصـاء التركية الحكوميـة أن التضخم بلغ، في منتصف يونيو الماضي، مقارنة مع نفس الفتـرة من العام الماضي 35.05 في المئة، ولكـن عند حسـاب زيادة الحـد الأدنى الصافـي للأجور بـين الفترتين إياهما، نرى أن الزيـادة بقيت محـدودة بـ10.5 في المئة فحسـب. هذا يعنـي أن الأعباء ازدادت بحوالي الربع على الطبقة الأشد فقراً في البلاد.

وجزء هام من هـذا التضخم حصل في العام الجاري وحـده، فالحد الأدنى الحالـي للأجـور دخـل حيـز التنفيذ اعتباراً من رأس السـنة الجارية، وبقي ثابتاً حتى الآن (مع توقعات غير مؤكدة بتعديله فـي نهاية أغسـطس الجاري) ولكـن خلال الفتـرة هـذه زاد التضخم زيادة ملحوظـة، إذ تقول أرقام المصرف المركزي إن المواد التي كان يمكن شراؤها بمئة ليـرة تركية فـي يناير بـات يلزم لشرائها نفسها 111.08 ليرة في يونيو.

وتقول دراسـة أعدها اتحـاد DİSK العمالـي أن 69.3 فـي المئـة مـن أفراد المجتمـع يعملون مقابل أجـور حقيقية تبلغ في الواقع نصف الحد الأدنى المعين للأجور أو أقل.

واللافت أن الحكومـة تصر إصراراً بالغـاً علـى معالجـة الأزمـة معالجـة تمويليـة، أو مـا يطلق عليه بالسـوق النقدي، فنراها تارة ترفع سـعر الفائدة، وتارة تخفضه. وقد تسـرب عن الورشة، التي تحدثنا عنها أعلاه للحزب الحاكم، أن وزيـر الخزانة وعـد بتخفيض معدل الفائدة بما لا يقل عن 2.5 في المئة. ولكن هل سيجدي هذا نفعاً فعلاً؟

أحد أهم الأمثلة على الخلل البنيوي في الاقتصاد، كما تحدثنا عنه أعلاه، يرد في زاوية بقلم يلماز أوزديل، يقول فيها "نعيش في إحـدى أخصب بقاع الأرض، ولكننـا أحد البلـدان الأكثر اسـتيراداً للقمح. نسـتجلب 78 في المئة من قمحنا من روسـيا، و10 في المئـة من أوكرانيا، عن طريـق مكتب 'المحاصيـل الزراعية' الـذي يقوم بـدوره ببيعـه للصناعيين بنصـف السـعر، تحت مسـمّى تصدير الطحين. وهكـذا تذهب المبالغ إلى جيب بضعة صناعيين، بينما تتحمل الخزينة الفرق في السعر، ما تترتب عنه خسارة صافية تقدر بأكثر من خمسـة وعشرين مليار ليرة في العام الواحد."

> حل الأزمة لن يكون بتطبيق نظرية نقدية، بل يتطلب تغييرات جذرية، لعل أهمها رفع مستوى الإنتاج وتوزيع أكثر عدالة للأرباح

ويتمثـل خلـل آخـر فـي أسـلوب «ضمان الخزينة» الذي توسعت الحكومة باستخدامه، فعندما تقرر بناء جسر ما، تقوم بإعلان مناقصة للمتعهدين تشـمل بناءه واسـتثماره، أي أن المتعهد يبنيه على نفقته، ومن ثم يسترجع النفقات من خلال استثمار عائداته لفترة من الزمن، مضافاً إليها هامش من الربح طبعاً.

وتضمـن الدولـة ألا يقـل عـدد مستخدمي الجسـر عن عدد معين، وفي حال كان أقل مـن الرقم المنصوص عليه في العقـد تلتزم بدفع الفرق في العوائد من الخزينة. ومن المقبول وفق شـريحة واسـعة مـن الشـعب التركـي أن هذه الصيغة تخفـي وراءها جانباً واسـعاً من الفساد المقنّع. يقول النائب المعارض أولاش قاراصـو إن مجموع الخسـائر التـي اضطرت الخزينة لدفعها بسـبب «ضمـان الخزينة» بلـغ، في عـام 2024 وحـده، أكثر من 60 مليار ليرة، ما يعادل أكثـر من مليار وسـتمئة مليـون دولار بسعر ذلك العام.

إن هـذه الأمثلة وسـواها تظهر أن الأزمة الاقتصادية نشـأت بسـبب خلل بنيوي، وأن سـعر الفائدة ليس سـوى الصاعـق الـذي فجّرها. ولهذا السـبب ذاته هي مسـتمرة حتـى الآن، وتحولت إلى أزمة مزمنة.

وحلهـا بالتالي يسـتلزم أدوات من نفـس طينتهـا، أي أن إصلاح السـوق الحقيقية يجـب أن يتم بأدوات حقيقية. وهـو ما لـم تظهر الحكومـة حتى الآن نيتهـا، أو بالأحرى قدرتهـا، على فعله. وهكـذا ومع اسـتمرار تدهـور الوضع المعيشي للكتلة الأكثر فقراً، والتي كانت علـى الدوام الخزان البشـري لأردوغان وحزبه، لن تفعـل الحلول التجميلية إلا تأخير السقوط وليس منعه.

العرب
الأحد 2025/08/24
السنة 48 العدد 13585

رئيس جديد لأركان الجيش الليبي برؤية 2030

خالد حفتر

القرار امتداد لتعيين الفريق صدام حفتر نائبا للقائد العام

تحالف المستقبل

ثقة كبيرة من المشير في ابنه

الحبيب الأسود
كاتب تونسي

في 18 أغسطس 2025، أعلن مجلس النواب الليبي تعيين الفريق خالد خليفة حفتر رئيساً لأركان الجيش الوطني الليبي، ضمن ترتيبات المشير خليفة حفتر لإعادة تشكيل القيادة العليا للجيش. وأشار المجلس إلى أن الفريق يتمتع بخبرة قانونية وعسكرية متميزة، وقاد تأسيس اللواء 106، وهو تشكيل عسكري لعب دوراً محورياً في الحرب على الإرهاب.

وأضاف أن "هذا التعيين يأتي في إطار الإجراءات المتخذة لتنفيذ الرؤية الإستراتيجية الطموحة 2030 الهادفة إلى تطوير وتحسين الأداء العام للقوات المسلحة، واستكمال مسيرة بناء قوة عسكرية قادرة على مواجهة التحديات وحماية الوطن وسيادته ووحدته"، مردفا أن "السلطة التنفيذية ترحب بهذا التعيين المستحق، وتؤكد دعمها المستمر لعملية تطوير وتعزيز القوات المسلحة".

وذكرت القيادة العامة للجيش في بيان رسمي أن قرار التعيين جاء بعد ترقية خالد حفتر إلى رتبة فريق أول ركن، مشيرة إلى اللقاء الذي جرى في مقر القيادة بالرجمة قرب بنغازي وجمع المشير حفتر بابنه في أول ظهور رسمي له بعد التعيين.

ويعد تعيين الفريق خالد حفتر في منصب رئيس الأركان العامة للقوات المسلحة مكمّلا لقرار تعيين الفريق صدام حفتر نائبا للقائد العام، بما يضمن التنسيق التام والتوافق بين الشقيقين على تشكيل ملامح المرحلة القادمة، لاسيما أن أي مستجدات منتظرة لن تخرج عن دائرة التأثير القوي للجيش الوطني كمؤسسة تعمل على توحيد الدولة والمجتمع من خارج دوائر العمل السياسي الكلاسيكي.

وينظر المراقبون إلى الفريق خالد على أنه صاحب رؤية مؤسساتية من خلال إطلاق مبادرات لتطوير الجيش، وبناء مدن عسكرية حديثة، إضافة إلى دعمه للشباب والرياضة والأنشطة الثقافية والإنسانية.

إنجازات كبيرة

ومن أبرز إنجازاته في هذا الصدد، إشرافه المباشر على إنشاء المدينة العسكرية في بنغازي، التي جرى افتتاحها بالتزامن مع الذكرى الحادية عشرة لانطلاق ثورة الكرامة، وقد وُصفت بأنها أكبر مدينة عسكرية في شمال أفريقيا.

خلال جولة تفقدية للمدينة العسكرية، رافق المشير حفتر رئيس مجلس النواب عقيلة صالح، ورئيس الحكومة أسامة حماد، وعدد من كبار القادة العسكريين، إلى جانب وفود من الولايات المتحدة، إيطاليا، روسيا، اليونان، تركيا، وبيلاروسيا، وممثلين عن مصر، المغرب، فلسطين، السودان، النيجر، وتشاد.

وأشاد المشير حفتر "بالدور المحوري لابنه خالد في الإشراف المباشر على أعمال البناء وتنفيذ المشاريع." كما سلّط الضوء على "التكامل والتنظيم المتطور والبنية التحتية الشاملة للمدينة العسكرية، ما يوفر بيئةً عصريةً للتدريب والتطوير المهني".

> خالد حفتر صاحب رؤية مؤسساتية بإطلاق مبادرات لتطوير الجيش، وبناء مدن عسكرية حديثة، إضافة إلى دعمه للشباب والرياضة

ويوصف المشروع الذي يوجد في منطقة قمينس غرب بنغازي، بأنه من أكبر المنشآت العسكرية في أفريقيا، ويمتد على مساحة 6463 هكتارًا، ويتسع لـ65 ألف جندي، ما يجعله مركزًا إستراتيجيا للتدريب واللوجستيات وقيادة القوات المسلحة الليبية.

وتضم المدينة مرافق متطورة، بما في ذلك ميدان رماية دولي يتسع لـ3000 متدرب، ومنطقة تدريب مكثفة تتسع لـ10 آلاف فرد، ومدارس عسكرية، ونفق محاكاة للمظلات، ومتحف عسكري، وساحة عرض بمساحة 70 هكتاراً.

ويوجد أيضًا مسجد ضخم يتسع لـ60 ألف مصلٍ يحمل اسم خالد بن الوليد، وتضمّ المدينة أيضًا مرافق رياضية متطورة، ومركزًا للياقة البدنية يتسع لـ24 ألف شخص، وحمامات سباحة أوليمبية، وملعب كرة قدم يتسع لـ10 آلاف متفرج، ومستشفى يضم 750 سريرًا. وبحسب حكومة بنغازي، ساهم أكثر من 15 ألف عامل و1500 مهندس في بناء المشروع الذي وصف بأنه رمز للجيش الليبي الجديد والنهضة المؤسسية في شرق ليبيا.

وقال خالد حفتر إن المدينة العسكرية تعكس الرؤية الإستراتيجية للقوات المسلحة العربية الليبية. وأضاف "نريد إعادة بناء الدولة وتعزيز أمنها ووحدتها الإقليمية. لقد فقدنا آلاف الرجال في الحرب ضد الإرهاب، وهذا النصر ليس لنا وحدنا، بل للعالم المتحضر أجمع." وأعلن عن إطلاق المرحلة الثانية لاستكمال مرافق المدينة والتي ستضم إنشاء مستشفى عسكري حديث ومنطقة سكنية متكاملة لمنتسبي القوات المسلحة، وكذلك استكمال مرافق المطار العسكري.

ووجه خالد حفتر كلمته للقوات المشاركة في الاستعراض العسكري، وقال لهم "أنتم الدرع والسيف على الحدود للدفاع عن هذا الوطن؛ ونحن كلنا فداء لليبيا، وعزتها، ووحدة ترابه".

وأضاف "فقدنا الآلاف من أبناء جيشنا في حربنا على الإرهاب التي انتصرنا فيها نيابة عن العالم، وأن الهدف الأول والأخير للقيادة العامة، هو استعادة الدولة الليبية، وهيبتها، وتعزيز الأمن، والاستقرار... وستظل القوات المسلحة الليبية رهن إشارة الشعب، وصاحبة الكلمة الأولى والأخيرة ".

ويعد تعيين الفريق خالد حفتر رئيسا للأركان العامة تتويجا لعدد من الاختيارات المهمة التي دفعه به إليها والده المشير، سواء من حيث المشاركة في الحرب على الإرهاب أو تأمين المناطق أو المشاركة بنجاح في ملف الدبلوماسية العسكرية أو في تأسيس وحدات عسكرية متقدمة أو بناء المدينة العسكرية.

وينظر الليبيون إلى هذه المدينة على أنها الأكبر من نوعها في شمال أفريقيا وهي نقطة تحول إستراتيجية في مسار تحديث القوات المسلحة، وصرح عتيد يحسب للقيادة العامة تم إنجازه في ظرف وجيز لتكريس الصورة الإيجابية للجيش الوطني في ظل عملية إعادة التأسيس التي أطلقها المشير خليفة حفتر قبل 11 عاما.

خبرة عسكرية وإدارية

ويعرف خالد حفتر بالقدرة على الجمع بين التخطيط العسكري المنهجي والإدارة المؤسسية للقوات المسلحة، وهو صاحب خلفية قانونية وعسكرية وكان يشغل سابقا منصب رئيس أركان الوحدات الأمنية، إلى جانب قيادته لواء 106 مجحفل، الذي يُعدّ أكبر تشكيل عسكري في قوات الشرق وأكثرها تسليحا وتنظيما، ما منحه نفوذا واسعًا داخل المؤسسة العسكرية.

تم تأسيس اللواء «106 مجحفل» في العام 2015 أي بعد عام من إطلاق عملية الكرامة وفي ظل حرب التحرير التي كانت في أوج اندلاعها، وكانت نواته كتيبة خالد بن الوليد المجحفلة التي كان يقودها خالد حفتر، ويقع المقر الرئيسي للواء بجوار جامعة بنغازي على طريق طرابلس في مدينة بنغازي، ويعد أحد التشكيلات الرئيسية للقوات التابعة للقيادة العامة إلى جانب «لواء طارق بن زياد المعزز» و«لواء 128 معزز".

في يوليو 2023 أصدر قائد القيادة العامة المشير خليفة حفتر قرارا بإنشاء «رئاسة أركان الوحدات الأمنية» وتكون تبعيتها للقيادة العامة، وتكليف ابنه آمر «اللواء 106 مجحفل» العميد خالد خليفة حفتر آمرًا لها، وفق نص المادتين الأولى والثالثة من قرار حفتر رقم (220) لسنة 2023، ونصت المادة الثانية على أن يضم «اللواء 106 مجحفل» بإمرة العميد خالد خليفة حفتر، و«لواء خالد بن الوليد» بإمرة الرائد يحيى سعد يحيى البرعصي، إلى رئاسة أركان الوحدات الأمنية، داعيًا في المادة الرابعة هيئة العمليات التابعة للقيادة العامة إلى إعداد الهيكل التنظيمي لها.

وبعد شهر واحد قرّر المشير تأسيس «لواء خالد بن الوليد»، ومقره منطقة طبرق العسكرية، ويضم ثلاث كتائب عسكرية بالمنطقة «الكتيبة 170 مشاة»، و«الكتيبة 301 مدفعية»، و«الكتيبة 401 استطلاع".

في أكتوبر 2023 أصدر قائد «القيادة العامة» المشير خليفة حفتر قرارًا بمنح 138 ضابطا ترقية استثنائية إلى الرتبة التي تلي رتبتهم، ومن بينهم ابنه العميد خالد خليفة حفتر الذي عيّنه في يوليو الماضي آمرًا على «رئاسة أركان الوحدات الأمنية» التي أنشأها حديثًا كإحدى الأركانات التابعة للقيادة.

وقد مثلت التعيينات والترقيات التي حظي بها الفريق خالد دليلا إضافيا على الثقة التي يحظى بها لدى والده المشير، وكذلك على حالة التوافق والانسجام القائمة بين وبين أشقائه وخاصة الفريق صدام الذي يتولى حاليا منصب نائب القائد العام.

في 24 يناير الماضي، زار خالد حفتر، بصفته رئيس أركان وحدات الأمن في الجيش الوطني الليبي، قاعدة جمال عبدالناصر الجوية جنوب طبرق. وأكد على أهمية تطوير القدرات العملياتية للقاعدة، وتعزيز جاهزية وكفاءة سلاح الجو لضمان تنفيذ المهام الموكلة إليه بكفاءة عالية.

يمتلك علاقات دولية مهمة تدعم مساعي الجيش الوطني الليبي على المستوى الإقليمي والدولي، ويحسب له ألف حساب لدى دوائر القرار في عدد من العواصم المؤثرة في الملف الليبي. في يناير 2025، زاره القائم بالأعمال في سفارة الولايات المتحدة لدى ليبيا، جيرمي برنت، ليناقش معه توحيد المؤسسات العسكرية وتعزيز قدرات قوات الأمن في ليبيا، وأكد برنت أن النقاش شمل التواصل مع الضباط العسكريين الليبيين من الشرق والغرب، ما يعكس أهمية الدور الذي يلعبه خالد حفتر على الصعيد العسكري والسياسي.

في مايو 2025 شدد خالد حفتر في موسكو، على متانة العلاقات الليبية الروسية، وأشار إلى ضرورة تطويرها عبر توسيع مجالات التعاون، خاصة في الجوانب الدفاعية والتنموية، بما يعكس المصالح المشتركة للبلدين، وذلك خلال بحثه آفاق تعزيز التعاون الثنائي في المجالين العسكري والأمني.

كان ذلك في لقائه مع نائب وزير الدفاع الروسي يونس بك يفكيروف الذي أكد خلال اللقاء على أهمية الدور الذي تلعبه القوات المسلحة في حفظ الأمن والاستقرار داخل ليبيا، مشيرا إلى أن استقرار ليبيا يشكل ركيزة أساسية لاستقرار المنطقة بأسرها.

وكانت لخالد زيارات عدة لدول أفريقية وشرق أوسطية وغربية في سياق العمل على تنمية العلاقات وتطوير الشركات تنفيذا لرؤية والده للعام 2030 التي تهدف إلى تطوير الأداء وتكريس الدور والرفع من مستوى الإمكانيات ورفع التحديات عبر رص الصفوف وقطع الطريق أمام المتربصين بليبيا ومؤسستها العسكرية.

ولد خالد خليفة حفتر في مدينة أجدابيا شرق ليبيا، في بيئة عسكرية امتازت بتقاليد الانضباط والانخراط المبكر في الشؤون الدفاعية، وتلقّى منذ صغره التوجيهات المتعلقة بالقيم الوطنية والانضباط الحربي، ما شكّل أساسًا قويًا لمسيرته العسكرية المستقبلية.

وقد ساهمت هذه البيئة في تكوين شخصيته القيادية، وإكسابه فهما عميقا لمتطلبات العمل العسكري والتحديات الأمنية التي تواجه البلاد، انضم إلى الجيش الليبي في سن مبكرة، وسرعان ما برز في قيادته للعمليات العسكرية على الأرض، من أبرز محطاته العسكرية:

لديه اهتمامات سياسية وثقافية، ويقول عنه المقربون منه أنه يمتاز بالدقة والانضباط والفكر المنظم، وأنه يهتم كثيرا بتحفيز الشباب على الانخراط في الأنشطة العسكرية، الثقافية، والرياضية والإنسانية.

وخالد حفتر أحد أبرز الداعمين لنادي أهلي بنغازي حيث حرص مرارا على حضور مباريات وتدريبات الفريق، وتكفل بشراء بعض اللاعبين، وله شعبية جارفة بين جماهير النادي الليبي. كما أنه تعهد بضرورة دعم الشباب والرياضة في ليبيا أمام جميع الرياضيين على مستوى كافة الألعاب الرياضية المختلفة سواء الجماعية أو الفردية، بعدم توقف النشاط الرياضي مرة أخرى على أمل عودة ليبيا إلى المنافسة سواء على المستوى القاري الأفريقي أو على المستوى العالمي.

> أحد أبرز الداعمين لنادي أهلي بنغازي، حرص مرارا على حضور مباريات الفريق وتدريباته، وتكفل بشراء بعض اللاعبين

وفي مارس 2024 منح مجلس إدارة نادي الإسماعيلي، الرئاسة الشرفية إلى الفريق أول خالد خليفة حفتر، قبل انطلاق مباراة الدراويش مع أهلي بنغازي الودية. وفي نوفمبر 2024 منحته النقابة العامة للإعلاميين الرياضيين وسام الريادة في العمل الوطني الرياضي، تقديرا لإسهاماته الكبيرة في دعم وتطوير الرياضة الوطنية، وذلك في سياق تكريم الشخصيات التي ساهمت بشكل كبير في تعزيز وتطوير الرياضة الوطنية، وتمنح لمرة واحدة فقط.

وفي يوليو الماضي، استقبل خالد حفتر بعثة فريق الأهلي طرابلس لكرة السلة، في مقرّ الرئاسة بالرجمة في مدينة بنغازي، وذلك بمناسبة تتويج الفريق ببطولة الدوري الأفريقي لكرة السلة (BAL) وتشريفه للرياضة الليبية في المحافل الدولية، وأكد خلال اللقاء دعمه المتواصل للشباب الليبي، ووقوفه إلى جانب كافة الأندية الرياضية، بما يسهم في تطوير المستوى الفني للفرق الوطنية، وتعزيز حضورها في البطولات الإقليمية والدولية.

العرب
الأحد 2025/08/24
السنة 48 العدد 13585

كفاح مستمر رغم قيود الفرص

جميلة شارق

فنانة تتنقل بأداء رصين بين الكتابة والخشبة والشاشة الكبيرة

عبدالرحيم الشافعي
ناقد سينمائي مغربي

يمتلك العديد من رواد الفن في المغرب مواهب فنية استثنائية وقدرات إبداعية عالية، إلا أن مسيرتهم غالبا ما تبقى محدودة نتيجة قلة الفرص الحقيقية في السينما والتلفزيون والدراما المغربية.

وعلى الرغم من تاريخهم الطويل وتجاربهم المتراكمة، يظل الكثير من هؤلاء الفنانين محصورين في أدوار ثانوية أو مشاريع لا تعبر عن قيمة موهبتهم الفعلية، وهو ما يجعل الإبداع الحقيقي يواجه تحديات كبيرة في الحصول على الاعتراف المناسب، إذ تبرز هذه الظاهرة فجوة كبيرة بين قدرات الفنانين وإمكانيات الصناعة الفنية، وهذا يحتم على المشهد الفني البحث عن توازن أفضل يمنحهم الفرصة للتميز والظهور بما يستحقونه.

شخصية لا تكتفي بالصدفة

تجمع بين الموهبة والخبرة والالتزام

تبرز جميلة شارق بصفتها واحدة من أبرز الفنانات اللواتي جمعن بين الموهبة، الخبرة، والالتزام الفني المتواصل، لكنها رغم ذلك لم تحظ بالفرص الكاملة التي تكشف قدراتها الحقيقية، إذ إن مسيرتها الطويلة التي انطلقت من الإعلام والمسرح، مرورا بالدراما والتلفزيون، وصولا إلى السينما، تظهر شخصية فنانة صلبة تعرف كيفية استثمار كل فرصة للتطوير والتميز.

التألق المسرحي

يكشف تاريخها الفني عن نموذج للفنانة المغربية المتكاملة، القادرة على تقديم أدوار مركبة، وإثراء المشهد الفني بعمق إنساني واجتماعي، رغم القيود التي تفرضها قلة الفرص أمام رواد الفن الحقيقيين في المملكة.

بدأت جميلة شارق مسارها الفني في استوديوهات عين الشق من خلال برنامج "حب الرمان"، بالتوازي مع مواكبة دراستها الجامعية، وأظهرت إرادة قوية في بناء قاعدة متينة لمهنتها، وحرصت على تطوير قدراتها الفنية باستمرار، واستثمرت كل فرصة تعليمية لتثبيت موهبتها، مؤكدة رغبتها في التميز منذ البداية.

ثم برزت في مسرح اليوم وشاركت في مسرحية "بوغابة" التي حققت نجاحا جماهيريا، وأظهرت قدرة على التفاعل مع الفريق المسرحي وإتقان أصول الأداء على الخشبة، فجسدت شخصية مليحة في مسرحية "جحا في الرحا"، وهو دور أهلها لنيل جائزة أحسن ممثلة بمهرجان المسرح العربي، فمثلت المغرب في مهرجانات دولية هامة مثل قرطاج ودمشق، مؤكدة على حضورها القوي وعمق شخصياتها المسرحية.

وشاركت جميلة في أعمال مسرحية متنوعة مثل "كولو العام زين" و"سيدي حبيبي"، وتعاونت مع فنانين كبار مثل الحسين بنيان، لتعمّق خبرتها الفنية وتقويه قدرتها على تقديم أدوار مركبة ومتعددة الأبعاد، إذ امتدت تجاربها إلى الشاشة الصغيرة من خلال مسلسلات ناجحة مثل "حوت البر" و"الدار الكبيرة" و"خلخال الباتول"، مؤكدًة مرونتها في التنقل بين المسرح والتلفزيون وإتقانها لأدوار متنوعة.

فنانة شاملة

قدمت شارق أعمالا سينمائية مهمة مثل "الحلم المغربي"، حيث جسدت دور شاما ونالت جائزة أحسن ممثلة في مهرجان الفيلم الرياضي، وأدت دور أم المجذوب في مسلسل "المجذوب" و"شمس الليل" في دور كنزة، كما أبدعت في الشريط التلفزيوني "بنات رحمة"، بالإضافة إلى أعمال مقبلة مثل "الهكار الأبيض" و"أرض جموع"، مؤكدًة حرصها على تقديم مشاريع متنوعة تتسم بالجودة والعمق.

وكتبت جميلة بعض السيناريوهات المهمة مثل "شمس الليلو"زينة الحياة" وسلسلة "للا مولاتي"، ونالت جوائز عن أعمالها، مؤكدًة قدرتها على الدمج بين التمثيل والكتابة، وإبداع محتوى متكامل يحمل رسالة وعمقا إنسانيا واجتماعيا، يعبّر عن رؤيتها الفنية الشاملة.

وتميّزت جميلة بأسلوب رصين ومتماسك في الأداء، وقدرة على التحكم في أدق تفاصيل الشخصية وإظهار العمق النفسي والإنساني للشخصيات التي تمثلها، وحافظت على اتزانها الفني في كل أعمالها، وأظهرت التزاما بالمعايير الاحترافية للتمثيل، وجعلت حضورها مؤثرا دون مبالغة، ما جعلها إحدى الممثلات القلائل القادرات على تقديم أدوار مركبة وقوية.

> تاريخها الفني يكشف عن نموذج للفنانة المغربية المتكاملة، القادرة على تقديم أدوار مركبة، وإثراء المشهد الفني بعمق

ورغم مسيرتها الطويلة وإنجازاتها العديدة، لم تحصل جميلة شارق على حقها الكامل في السينما والدراما المغربية، إذ بقيت أدوارها غالبا محدودة مقارنة بقدراتها الحقيقية، إذ يحمل أداؤها إشارات واضحة لقدرتها على تقديم أدوار رئيسية قوية ومؤثرة، وكان من الممكن أن تصبح علامة فارقة في كل مشروع فني تُشارك فيه، مؤكدًا أن موهبتها تتجاوز ما تم تقديمه حتى الآن.

وتمثل جميلة شارق رمز الرصانة والاحترافية في المشهد الفني المغربي، وتثبت أن التمثيل المتميز يتطلب المثابرة والجدية والقدرة على التجديد المستمر، وحافظت على علاقة قوية مع جمهورها، وبرزت كفنانة شاملة تجمع بين المهارة، العمق النفسي، والقدرة على تقديم فن راق يبقى حاضرًا في وجدان المشاهد والنقاد على حد سواء.

شارق بصفتها فنانة مغربية بدأت مسارها من تجربة إعلامية بسيطة في تنشيط برنامج "حب رمانة"، قبل أن تتجه نحو المسرح لتبني تكوينا أكاديميا استمر سبع سنوات في المعهد البلدي للتكوين المسرحي بالدار البيضاء، وهذا الإصرار على التكوين والدراسة جعل انطلاقتها قوية عبر العمل مع ثريا جبران، ثم تأسيس فرقتها المسرحية، وهو ما منحها انطلاقة احترافية في سن مبكرة، وهذه البداية تكشف عن شخصية لا تكتفي بالصدفة، بل تضع أسسا واضحة لمسارها الفني.

وتكشف الفنانة المغربية عن وعيها بتعدد الأدوار التي يمكن للفنان أن يؤديها، فهي تجمع بين التمثيل والكتابة، وهذا التداخل بين المجالين يبرز شخصية مرنة تعرف متى تعطي الأولوية للتمثيل ومتى تنشغل بالكتابة، حسب قيمة المشاريع التي تعرض عليها، إذ إن معيارها الأساسي هو الجودة، كتعبير عن شخصية فنانة لا تركض خلف الكثرة، وإنما تبحث عن التميز سواء في الأدوار أو في النصوص.

> الفنانة المغربية تكشف عن وعيها بتعدد الأدوار التي يمكن للفنان أن يؤديها، فهي تجمع بين التمثيل والكتابة

وتعتبر جميلة شارق أن جميع الأدوار التي جسدتها تركت بصمتها الخاصة في حياتها، وهذه الرؤية تكشف عن وعي ناضج بالفن، قائم على تراكم التجارب لا على انتظار لحظة واحدة فارقة، وبذلك ترسم شارق لنفسها صورة فنانة متوازنة تدرك أن قيمتها تتحدد بتنوع أدوارها.

وتبرز شخصية جميلة شارق الاجتماعية، فهي حاضرة في الساحة الجمعوية منذ طفولتها، وتولي للعمل الاجتماعي مكانة أساسية في حياتها اليومية، فمشاركتها في الأنشطة والتظاهرات، وانخراطها في الجمعيات، يكشفان عن فنانة تحمل مسؤولية إنسانية موازية لمسؤوليتها الفنية، وهذا الحضور الاجتماعي يضيف بعدا آخر لصورتها، يجعلها قريبة من الجمهور داخل وخارج المملكة، خصوصا أن التلفزة تبقى الوسيلة الأوسع لتعريف الناس بالممثلين والفنانين.

أعمال متنوعة

تتوالى أعمالها المسرحية لتشمل مسرحيات "غيثة" مع مسرح الجرس، و"كولو العام زين" و"القضية فيها إن" مع مسرح الشعب، و"سيدي حبي نوصله" مع مسرح الأضواء، و"بيا وال بيك" مع مسرح التنمية، و"الرهوط" مع مسرح البيضاء، و"أورجو" مع مسرح الآن، كما شاركت في المسرحيات المصورة مثل "المفتش" للطيب الصديقي، التي لاقت نجاحا جماهيريا.

تألقت في أعمال تلفزيونية منها: "بنات رحمة" لفريدة بورقية، "المجدوب"، "الدار الكبيرة"، "حوت لبحر"، "خلخال الباتول" لجمال بلمجدوب، وسيتكوم "مبارك ومسعود"، كما عُرفت بدورها في "صالون شهرزاد" للمخرج المصري أمير رمسيس، ومسلسلات "شمس الليل"، "أرض جموع"، "دارت ليام" لإبراهيم الشكيري، "أحسن العائلات" و"القرية المنسية"، إضافة إلى مشاركتها في أعمال حديثة مثل "أمول نوبة" لسامية أقاريو، "ألحان الماضي" وسلسلة "باب الحي" من إخراج محمد بوحاري.

وجسدت شارق أدوارا مهمة في أفلام "الحلم المغربي" لجمال بلمجدوب، الذي نالت عنه جائزة أحسن ممثلة في مهرجان الفيلم بالرباط، "زهرة أغمات" لفريدة بورقية، "وليلي" لفوزي بنسعيدي، "ما تفاهمناش" لأيوب العياشي، والفيلم الفرنسي "Retour à Boulène" لسعيد حميش، كما شاركت في فيلم "مازال الحال" لهشام الجباري.

وتمتد مسيرتها إلى الكتابة، إذ ساهمت في ورشة كتابة مسلسل "زينة الحياة" بأجزائه الأربعة، وسلسلة "صوت النسا"، وكتبت حلقات برنامج "مداولة"، ومسرحيات مثل "الماء والشطابة"، "بيا وال بيك"، "مراية علال" و"إنت وزهرك"، بينما شاركت جميلة شارق في برامج إذاعية منها "دقيقة المواطنة" و"لقاء التنمية"، مؤكدة بذلك حضورها الفني المتنوع والمتكامل عبر مختلف الوسائط الإبداعية.

فنان يخوض نصف قرن في خدمة المقام العراقي

محمد حسين كمر: علينا تسجيل هذا التراث وتوثيقه وأرشفته قبل فوات الأوان

الموسيقى في العراق لها فرادتها عن باقي الموسيقات العربية والعالمية، ويعود هذا بشكل كبير إلى قدم فن الموسيقى في المنطقة، وقدرته على التطور والتجذر على امتداد قرون. والمقام العراقي مثلا لون موسيقي ضارب في القدم، وقد صار علامة فنية عراقية خاصة. "العرب" كان لها هذا الحوار مع محمد حسين كمر وهو أحد أهم المختصين في المقام العراقي.

دنيا صاحب
باحثة وناقدة عراقية

تسطع في مسرح الذاكرة العراقية أنغام المقام الأصيل وتُجسّد حضورها عبر مسيرة ضيفنا اليوم، الفنان الدكتور محمد حسين كمر، العازف البارع على آلة الجوزة، الباحث والمؤلف في فنون المقام العراقي.

انطلق مشوار كمر منذ دخوله معهد الدراسات النغمية عام 1975، فشهد عن قرب تجارب كبار رواد المقام أمثال شعوبي إبراهيم وهاشم الرجب، ورافق بخبرته وأدائه أسماء بارزة في مسيرة هذا الفن الخالد. جاب عواصم عربية وعالمية مقدّمًا المقام العراقي رسالة وهوية متجذّرة في وجدان العراقيين. في هذا الحوار، يكشف الفنان محمد حسين كمر بعض أسرار تجربته الممتدة لنصف قرن، ويستعرض رؤيته لتاريخ المقام العراقي ومستقبله في ظل التحولات التقنية والفنية المعاصرة، لنغوص معه في تفاصيل هذا التراث العريق.

جيل مؤسس

● العرب: كيف تصف مسيرتك الإبداعية الموسيقية مع المقام العراقي؟

■ بدأت مسيرتي الفنية الأكاديمية الحقيقية منذ دخولي إلى معهد الدراسات النغمية العراقي عام 1975، وكنت أحد طلبة الدورة الخامسة في المعهد، حيث كانت مدة الدراسة فيه ست سنوات بعد المرحلة المتوسطة، ويمنح شهادة دبلوم فن عالٍ تعادل شهادة البكالوريوس لأغراض التعيين في وزارة الثقافة.

> المقام العراقي نوع من الغناء والموسيقى يعبّر عن أسلوب الناس وتفاصيل حياتهم ونشاطاتهم الثقافية والحضارية

تُعد دورتي من الدورات المؤسسة لهذا المعهد الذي تأسس عام 1970 من قبل وزارة الإعلام العراقية في عهد الرئيس أحمد حسن البكر، وكان المعهد يُعد في حينه صرحًا ثقافيًا متفردًا على مستوى الشرق الأوسط في حفظ التراث الموسيقي العراقي المتمثل بالمقام العراقي.

أثناء مرحلة الدراسة عاصرت غالبية الرواد والمختصين بهذا اللون الغنائي، أمثال أستاذي شعوبي إبراهيم، الذي درست على يديه أصول الغناء وعزف المقام العراقي، وكذلك تعرفت على الأستاذ الحاج هاشم الرجب، خبير المقام العراقي. إضافة إلى مصاحبتي بالعزف على آلة الجوزة لغالبية قراء المقام الرواد أمثال: يوسف عمر، وشعوبي إبراهيم، والحاج هاشم الرجب، والدكتور حسين الأعظمي، وسعد الأعظمي، وحمزة السعداوي، وعبدالجبار العباسي، ومجيد العاني، وعبدالملك الطائي، وصلاح عبدالغفور، وحامد السعدي والكثيرين من رواد هذا الغناء.

كما شاركت في مهرجانات عديدة في مختلف أنحاء العالم ضمن عملي في فرقة التراث الموسيقي العراقي التي أسسها الفنان الكبير منير بشير، لتقديم هذا اللون الغنائي التراثي في المهرجانات والمحافل المحلية والعربية والعالمية.

المقام العراقي

● العرب: إلى أي فترة يعود تاريخ المقام العراقي، ومن هم أبرز الفنانين الذين ساهموا في تطويره والعمل عليه؟

■ إن فن الموسيقى والغناء في أيّ عصر من العصور هو انعكاس لحياة المجتمع وسلوك أبنائه، وهو أسلوب تعبيري صادق عن الأفكار والمشاعر والأحاسيس التي تتوارث عبر الأزمان من جيل إلى آخر. والمقام العراقي نوع من الغناء والموسيقى يعبّر عن أسلوب الناس وتفاصيل حياتهم وممارساتهم ونشاطاتهم الثقافية والحضارية.

وقد اختلفت الآراء حول تاريخ ظهور المقام العراقي؛ فهناك من ينسبه إلى العصر العباسي، كما ذكر الباحث الموسيقي شعوبي إبراهيم، أما هاشم الرجب فينسبه إلى فترة الحكم العثماني في العراق، والتي امتدت خمسة قرون. أما أنا شخصيًا فأرى أن فترة النشأة وتطور هذا الشكل الغنائي تعود إلى العصر العباسي (750 – 1258م)، حيث كانت بغداد آنذاك مركزًا للإشعاع الحضاري الذي شمل مختلف العلوم والآداب والفنون، واستقطب طلبة العلم من أنحاء العالم.

ويذكر الدكتور طارق حسون فريد أن بغداد كانت تضم مدارس كثيرة لتعليم الموسيقى والغناء، وقد ظهرت في هذه الفترة أسماء بارزة مثل: إبراهيم وابنه إسحاق الموصلي، وإبراهيم المهدي، وزرياب. وفي هذه المرحلة اختلطت الألحان الحضرية والبدوية والقديمة والحديثة، ونشأت خلالها مدرستان: مدرسة إبراهيم وإسحاق الموصلي، التي حافظت على الأساليب والأصول القديمة (الكلاسيكية). ومدرسة إبراهيم المهدي، الأخ الأصغر للخليفة هارون الرشيد، والتي شجعت على الخلق والابتكار والإبداع تحت مسمى الاتجاه الرومانتيكي.

وقد اعترض إبراهيم وإسحاق الموصلي على إبراهيم المهدي لاتباعه أسلوبًا مغايرًا في الغناء والبناء اللحني، فجاء رده بقوله "أنا ملك ابن ملك، أغني كما أشتهي وعلى ما ألتذ." ومن هنا نجد أن نشأة المقام العراقي ارتبطت بحصيلة تلك الفترة ونتاجها والتي تُعد من أهم وأزهى الفترات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية.

وهكذا استمر هذا الشكل الغنائي بالتطور والتواصل من حنجرة إلى أخرى، ومن معلم إلى تلميذ ما جعله جسرًا للتواصل مع مختلف الثقافات. وما يزال المقام العراقي جزءًا لا يتجزأ من تفاصيل الحياة والهوية البغدادية. وفن المقام من الفنون الغنائية الصعبة، لا يتمكن من أدائه إلا ابن هذه البيئة، وتحديدًا من يمتلك موهبة خاصة وقدرات صوتية ذات مساحة واسعة تمكّنه من الوصول إلى أخفض الطبقات الصوتية وأعلاها، بما يؤهله للتعبير الجمالي والذاتي الذي يبرز شخصية مؤدي المقام ويُميّزه عن أداء الآخرين.

أما في العصر الحديث، فقد شهدت الفنون تطورًا تقنيًا كبيرًا حيث أدى ظهور جهاز التسجيل الصوتي إلى إحداث انعطافة مهمة في مسار الحياة البشرية، إذ ساهم هذا الجهاز في حفظ التراث بصورة أوفر حظًا للفنانين الذين ظهروا منذ بدايات القرن العشرين وحتى اليوم. كما ظهرت في بدايات القرن العشرين مدرستان للمقام العراقي كان لهما دور بارز في الاهتمام به وصيانته والتعريف به داخل العراق وخارجه، وهما: المدرسة القندرجية: نسبة إلى رشيد القندرجي، وهي المدرسة الكلاسيكية المحافظة على الأصول والقواعد القديمة. والمدرسة القبانجية: نسبة إلى محمد القبانجي، وهي مدرسة التجديد والتطوير، المتأثرة بالثقافات الموسيقية المتنوعة.

● العرب: ما هي الفصول الرئيسية التي يتألف منها المقام العراقي؟

■ أولاً، سُمي بالمقام العراقي لأنه تميز واشتهر في العراق وفق الأسلوب الذي عُرف به، ولأن الموسيقيين العراقيين يؤدونه بأسلوب يختلف عن ألوان الغناء المعروفة في البلدان العربية الأخرى، التي تعتبر هذا الأسلوب من الغناء خاصًا بالعراق. فنجد أن البلد الوحيد الذي اقترن اسمه بأسلوب غنائي هو العراق فنقول: المقام العراقي.

ويختلف مفهوم المقام موسيقيًا في العراق عن مفهومه الموسيقي في البلدان العربية الأخرى، ففي العراق يعني أسلوبًا غنائيًا له من الأصول والقواعد المتوارثة، التي ينبغي على قارئ المقام أن يلتزم ويتقيد بها أثناء أدائه للمقامات بينما في البلدان الأخرى تعني السلم الموسيقي الذي يتألف من سبع نغمات موسيقية صعودًا والنغمة الثامنة هي تكرار للنغمة الأولى وتسمى الجواب، الأوكتاف (Octav). تختلف تسمية هذه السلالم باختلاف الأبعاد التي تفصل بين نغمات السلم الموسيقي صعودًا أو نزولاً.

إن البناء الفني لأداء المقامات العراقية يقوم على التنوع الإيقاعي واللحني في الأداء ونعني بالتنوع اللحني تلك المسارات والحركة الفنية المتناسقة والمستمرة، المتصلة في التغير والتنوع بين السلالم والأجناس الموسيقية والغنائية والتي سميت بالقطع والأوصال والاستمرار في أداء المقام كوحدة متكاملة. لذلك، فإن قارئ المقام يحتاج إلى مساحة صوتية واسعة وقدرة على الانتقالات والتنويعات النغمية والارتجالية التي تسمى بالقطع والأوصال، وهي واحدة من خمسة عناصر أساسية يعتمد عليها كل مقام على حدة في بنائه اللحني والموسيقي، والتي سنأتي على ذكرها الآن.

وتسلسل هذه الأركان، التي يجب أن يتقيد بها قارئ المقام كبناء فني للمقامات العراقية هو: التحرير والبدوة، القطع والأوصال، الجلسة، الميانة والتسليم.

● العرب: ما هي الآلات الموسيقية التقليدية التي ترافق أداء المقام العراقي؟

■ الفرقة التي تصاحب قارئ المقام العراقي تسمى بفرقة الجالغي البغدادي. الجالغي بالجيم الفارسية المثلثة (هي كلمة تركية الأصل تعني "جماعة اللهو"، وأصل التركيب جالغي طاقمسي أي جماعة الملاهي). وقد أشار حسين قدوري في موسوعته الموسيقية إلى أن الجالغي تعني جماعة الطرب أو طاقم الموسيقى، ويبدو أن لفظة "جالغي" في نظر البغداديين كانت تعني حفلة غنائية تقام في الأماسي وفي مناسبات الأفراح والأعراس، والختان وغيرها.

والجالغي البغدادي كما هو معروف (فرقة موسيقية صغيرة تُصاحب قارئ المقام) تتألف من عازفي الآلات الموسيقية التراثية التقليدية: الجوزة، السنطور، الطبلة، الرق، النقارة. ولأن المقام العراقي نشأ في مدينة بغداد، فقد سميت الفرقة بالجالغي البغدادي.

ويجب أن تتوفر في أعضاء هذه الفرقة الخبرة والمعرفة بأصول المقام العراقي وقواعده، لأنهم يقومون بأدائها عزفًا على آلاتهم الموسيقية، ولأن القارئ يكون تابعًا في بعض الأحيان إلى الفرقة التي ترسم له الطريق في الانتقالات النغمية، وهذا عكس ما هو معروف عن التخت في الغناء الشرقي، الذي يكون هو تابعًا للمطرب. وهناك بعض أركان المقام وقطعه وأوصاله يجب على العازفين الدخول بها أولًا وقبل قارئ المقام، إضافة إلى عزفهم أنغامًا كثيرة ومتنوعة متفقا عليها بين قطعة وأخرى في هذه المقامات.

ويشترط كذلك في عازفي الجالغي أن يكونوا ممن يتمتعون بجمال الصوت وحسن الأداء، لأن مهمتهم كانت تتعدى العزف إلى ترديد البستات التي تُغنى في نهاية كل مقام، وذلك لمنح القارئ الاستراحة والتهيؤ لغناء مقام آخر.

حفظ التراث الموسيقي

● العرب: منذ متى بدأت فكرة مشروع تسجيل المقامات العراقية وتوثيقها، وما هي الحوافز والخبرات التي أسهمت في إطلاق هذا المشروع الوطني الكبير؟

■ بدأت هذا المشروع منذ عام 2010، حيث وُلدت الفكرة من خلال جولاتي العديدة في مختلف أنحاء العالم، ومن خلال المشاركة في أكثر من 250 مهرجانًا تُعنى وتهتم بإحياء التراث للشعوب. لقد وجدت مدى اهتمام هذه الشعوب المتحضرة بإحياء والمحافظة على تراثها الموسيقي والغنائي اللامادي، وكذلك من خلال توجه منظمة اليونسكو في تحفيز الشعوب على المحافظة على تراثها من خلال دعم الجهات والمؤسسات التي تسعى من أجل حماية تراث شعوبها من الضياع.

ولد مشروعي الكبير (تسجيل وتوثيق المقامات العراقية) وذلك لأهمية المقام العراقي الذي يشكل مرتكزًا ومصدرًا للإبداع الموسيقي والغنائي، لما يتمتع به من إمكانات تعبيرية وجمالية تسحر الأسماع وتساهم في تربية الذوق الفني الرفيع، وتضيف الجديد إلى الساحة الغنائية والموسيقية العربية عبر المحاولات المتواصلة من خلال الجهود الكبيرة التي بذلها الدكتور حسين الأعظمي، سفير المقام العراقي، والذي كان له دور كبير في إدراج هذا اللون الغنائي على الصعيدين النظري والتطبيقي، وأصبح تراثًا لاماديًا معتمدًا من قبل هيئة اليونسكو للثقافة والفنون ضمن تراث 47 بلدًا آخر.

> نشأة المقام العراقي ارتبطت بحصيلة ونتاج فترة العباسيين وهي من أهم الفترات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية

وكذلك من خلال فرقة المقام العراقي، هذه الفرقة التي أسستها عام 1989 مع سيدة المقام العراقي فريدة محمد علي، حيث قدّمت هذه الفرقة حفلاتها في أكثر من 250 مهرجانًا وأكثر من 70 بلدًا في مختلف أنحاء العالم. ويأتي مشروع تسجيل وتوثيق المقامات العراقية بأسلوب تقني متطور ومن خلال أصوات احترافية ومؤهلات أكاديمية معروفة في الساحة الغنائية المؤدية إلى هذا الفن العريق، وهم: فريدة، حسين الأعظمي، سعد الأعظمي، حامد السعدي، والذين يضطلعون بمعرفة عميقة وأكاديمية بأصوله وقواعده الأدائية، محاولين مقاومة حركة النسيان والتشويه لهذا الفن الأصيل من خلال مشاركاتهم على المستويين العربي والعالمي، ساعين لتحقيق هذا الهدف الكبير.

● العرب: ما أهمية مشروعك في حفظ المقامات العراقية وهل حصلت على مبادرات لدعمه من جهات رسمية؟

■ إن عملية تسجيل هذا الإبداع وتوثيقه تُعدّ حفظًا لهذا التراث من الزوال، باعتباره مصدراً إبداعيًا غنيًا للأجيال القادمة وسيتم ذلك من خلال توزيع هذه التسجيلات على المعاهد الموسيقية المتخصصة، وكذلك المؤسسات الفنية والثقافية إضافةً إلى إصدار وطبع كتاب يتضمن كافة الشروحات العلمية والأكاديمية حول المقامات العراقية وطريقة تعليم أدائها للمستمع والقارئ. لقد قدمت مشروعي إلى وزارة الثقافة العراقية ومشروع "بغداد عاصمة الثقافة العربية"، ولكن للأسف لم يلقَ المشروع دعمهم، وذلك بسبب قلة وعي العاملين والمسؤولين بأهمية هذا المشروع الوطني الكبير.

إن هذا المشروع يمثل إنجازًا ثقافيًا وفنيًا، وعملية لإعادة إحياء تراث المقام العراقي الذي يُعد جزءًا مهمًا من التراث العربي والإنساني، كما يسعى المشروع إلى تنظيم ورش عمل موسيقية وغنائية في المعاهد الموسيقية والمؤسسات الثقافية والفنية في المنطقة العربية، ما يوفر فرصاً للجمهور العربي والعالمي للتعرف على طبيعة هذا اللون الإبداعي، الذي تعرض للإهمال بسبب الظروف السياسية والاقتصادية التي مر بها العراق والتي تركت آثارًا سلبية على منجزات الفن والثقافة. لذلك نطمح أن يكون المشروع نافذة للحوار والتبادل الثقافي مع مختلف الثقافات الإنسانية عبر عالم الموسيقى والنغم.

● العرب: كيف ترى مستقبل المقام العراقي في ظل التيارات الموسيقية الحديثة والتقنيات الرقمية المتسارعة؟

■ من خلال خبرتي الطويلة الممتدة إلى نصف قرن، أود أن أنبه مؤسساتنا الثقافية والفنية والمسؤولين في وزارة الثقافة، مذكرًا ومنبّهًا إلى خطورة الموقف، مقترحًا تسجيل هذا التراث وتوثيقه وأرشفته قبل فوات الأوان، خاصة ونحن نمتلك الآن هؤلاء المؤدين الجيدين والمؤهلين لهذه المهمة وهم في قمة نضجهم وعطائهم الفني.

ولما نعهده من مؤسسة اليونسكو الراعية دائمًا لثقافة الشعوب وتراثها، وبدعمها لحقول الثقافة والفنون، إضافة إلى الجهات والشخصيات الساندة الأخرى وما تنجزه من اهتمام ودعم للمشاريع الإبداعية بما ينسجم مع الأهداف التي نسعى جميعًا لتحقيقها، آملين أن يلقى مشروعنا، الذي يندرج ضمن محاولات الحفاظ على التراث العراقي الأصيل، اهتمامًا ودعمًا من هذه الجهات، خدمة للحفاظ على تراث بلاد ما بين النهرين من الضياع والانقراض.

المقام العراقي فن يجب الحفاظ عليه

مبدع يحاول نقل تراث الموسيقى للأجيال اللاحقة

العرب
الأحد 2025/08/24
السنة 48 العدد 13585

نجيب محفوظ لم يحترم أساسيات الفن الروائي في «الكرنك»

إشكاليات الراوي والمروي له في الرواية تقود إلى سرد مصطنع

نقرأ أحيانا مؤلفات لكتاب معروفين وراسخين فنتفاجأ بمستواها البعيد عن مكانة الكاتب وتجربته وخبرته، ولكن الغالبية تسكت عن ذلك خوفا من تعرضها للنقد والهجوم والتشكيك، ويكون ذلك تجنبا للخوض في قضايا ملحة وضرورية لتطوير الأدب. من هنا تتأتى قراءتنا لرواية "الكرنك" لـ"أستاذ" الرواية العربية نجيب محفوظ.

محمد سعيد احجيوج
كاتب مغربي

صدرت رواية نجيب محفوظ "الكرنك" سنة 1974، وكان قد أكمل كتابتها سنة 1971، محاولا من خلالها أن يلتقط ارتجاج المجتمع المصري من أوائل الستينات إلى ما بعد هزيمة السابع والستين عبر فضاء مصغّر هو مقهى الكرنك. تحولت الرواية إلى فيلم سينمائي شهير بعد عام من صدورها، وهي إحدى روايات محفوظ الشهيرة، ولو أن قلة من الأصوات تهمس أحيانا أنها من روايات نجيب محفوظ الأكثر تواضعا، وقد جاءت بعد خمسة وثلاثين عاما من تاريخ صدور أول رواياته "عبث الأقدار"، وبعد أن راكم الكاتب عشرين رواية منشورة، وثماني مجموعات قصصية.

نقص التبرير الدرامي يجعلنا نقرأ تقريرا أكثر من رواية، وثيقة مجمعة أكثر من حكاية تتدفق من ضرورة إنسانية

تدور الرواية حول مقهى "الكرنك" الذي تملكه الراقصة السابقة قرنفلة، ويرتاده مجموعة متنوعة من الشخصيات: الشيوخ المتقاعدون (محمد بهجت، رشاد مجدي، طه الغريب)، والشباب الجامعي (إسماعيل الشيخ، زينب دياب، حلمي حمادة)، وموظفو الحكومة مثل زين العابدين عبدالله. عبر هذه الشخصيات تُروى قصص الاعتقال والتعذيب التي تعرض لها الشباب على يد الضابط خالد صفوان، مع إطلالة على تأثير الاستبداد السياسي على حياة الأفراد والمجتمع.

غير أنّ القارئ، ما إن يستقر في هذا الفضاء السردي، حتى ينهض أمامه السؤال الأكثر إلحاحا: من الذي يروي؟ ولمن يروي، وكيف؟ وسرعان ما يدرك القارئ الملمّ بأساسيات الفن الروائي المعضلةَ المركزية في الكرنك، المتمثلة في هشاشة بنائها السردي، وضعف السارد، والمسوغات الدرامية التي تبرر الحكي.

الراوي والمروي له

الراوي، أو السارد، هو الصوت السردي الذي يقوم بحكي القصة، وهو كائن نصي مختلف عن المؤلف الحقيقي. للراوي خصائص فنية محددة تشكل هويته السردية: الموقع السردي الذي يحدد علاقته بالعالم المحكي (داخلي أو خارجي)، ودرجة المعرفة التي تتراوح بين العلم المطلق والمعرفة المحدودة، والاتساق الداخلي الذي يتطلب ثبات خصائصه عبر النص، والوظيفة الدرامية إذا كان شخصية داخل القصة.

أما المروي له فهو المتلقي المفترض داخل النص الذي يوجه إليه الراوي خطابه. يختلف المروي له عن القارئ الحقيقي (القارئ الخارجي الذي يمسك الكتاب بين يديه)، فهو كائن نصي له وظائف مهمة: تبرير السرد من خلال إعطاء منطق لفعل الحكي، وتنظيم المعلومات بناء على معرفة المروي له المفترضة، وتوجيه النبرة، وخلق التفاعل عبر الحوارية أحيانا.

فهل نجح محفوظ في تحقيق هذه الشروط السردية؟ يبدو السؤال، لأول وهلة، مبالغا فيه، فكيف يتجرأ أي شخص، ناقدا كان أم قارئا، ويسأل هذا السؤال البديهي، عن عنصر أساسي في الفن الروائي، وهو ينتقد ضمنيا أستاذ الرواية العربية الذي نشر قبل هذه الرواية عشرين رواية، على مدى خمسة وثلاثين عاما؟

تبدأ الرواية بنبرة حميمة بضمير المتكلم: "اهتديت إلى مقهى الكَرْنك مُصَادفة؛ ذهبت يومًا إلى شارع المهدي لإصلاح ساعتي. تطلّب الإصلاح بضع ساعات كان عليَّ أنْ أنتظرها. قرَّرت مُهادنة الوقت في مشاهدة السَّاعاتِ والحلي والتُّحَف التي تعرضها الدكاكين على الصفَّيْن. عثرتُ على المقهى في تنقلي فقصدته. ومنذ تلك السَّاعة صار مجلسي المُفَضَّل رغم صغره وانزوائه في شارعٍ جانبي".

بهذه الافتتاحية يؤسّس محفوظ لوعد سردي: سنرى الأشياء بعيني شخص يكتشف المكان، يتعلّق بصاحبته، ويصيرُ "واحدًا من الأسرة". ضمير المتكلم هنا يَعِد بالألفة وبالمنظور المحدود الذي يقف على مسافة بشرية من الوقائع؛ أي بؤرة داخلية تقيس معرفتها بما يتيح الواقع لا بما يقتضيه المؤلف.

يؤكد الراوي انخراطه في عالم المقهى بقوله "انْضَمَمْتُ إلى أسرة الكرنك بصفة نهائية، ونفذت الأسرة في صميم حياتي". ثم يصف علاقاته بالشخصيات: "منحتني قرنفلة صداقتها ومَنَحْتُها، لعبت النَّرد مع الشيوخ محمد بهجت، ورشاد مجدي، وطه الغريب، عرفت الشباب وعرفوني خاصة زينب دياب، وإسماعيل الشيخ، وحلمي حمادة، كما عرفت زين العابدين عبدالله مدير العلاقات العامة بإحدى المؤسسات، حتى إمام الفَوَّال الجرسون وجمعة مَسَّاح الأحذية وعامل النَّظافة صارا لي صديقَيْن...".

هذا التأسيس يوحي بوجود شخصية حقيقية لها تاريخ شخصي ودوافع واقعية للتواجد في هذا المكان.

لكن النص سرعان ما ينقض وعده: يتراجع الراوي إلى مقعد مراقب صامت لا يفعل شيئا إلا المشاهدة والاستنطاق الدؤوب لباقي الشخصيات. إنّه حاضر جسدا وغائب تأثيرا؛ لا يدفع حدثا ولا يغير مصيرا، حتى كأننا أمام راو عليم، خارجي، لكن مقنّع بضمير المتكلم.

مع توالي صفحات الفصل الأول نكتشف أن هذا الراوي مجرد مستمع سلبي لحكايات قرنفلة عن ماضيها وحاضرها. حتى عندما تحكي له عن علاقتها بحلمي حمادة أو عن مشروعها لكتابة مذكراتها، يبقى دوره محصورا في طرح أسئلة محسوبة بدقة لاستخراج المعلومات المطلوبة. تغدو أسئلة الراوي مفاتيح مُعَدّة سلفا لفتح خزائن بعينها وكشف محتوياتها أمام القارئ. لا نجد له أي تأثير حقيقي في حياة قرنفلة ولا أدنى تفاعل ملموس مع أيّ من الشخصيات، رغم ادعائه بأنه وقرنفلة أصبحا صديقين حميمين، كما صادق إسماعيل وزينب.

يتعمّق هذا الميل الوظيفي، الذي يحول الراوي من شخصية واقعية إلى محض آلية سردية، في الفصل الثاني حين ينتقل الكلام إلى إسماعيل الشيخ. ظاهريا، نحن الآن مع "اعترافات" بضمير المتكلم لشخصية مختلفة عن راوي الرواية، كأن النصّ استجاب لمطلب التعدّد الصوتي. لكن عمليا، تبدو الأصوات محمولةً على سكة واحدة: اعترافات تُلقى على طاولة الراوي كما لو كانت مُلخّصات ميكانيكية لملفات أمنية.

المشكلة الجوهرية هنا أن طريقة الراوي في استخراجه للمعلومات تتجاوز ما هو مقبول في علاقة صداقة طبيعية. إسماعيل يكشف للراوي أسرارا في غاية الخطورة، وبسلاسة تامة. فما الدافع النفسي الذي يجعله يثق بهذا الرجل إلى هذا الحد الكاشف لكل الأسرار والتفاصيل الحميمية؟

يحكي إسماعيل عن نشأته في حارة دعبس الفقيرة، وعن اعتقاله الأول بتهمة الانتماء للإخوان، ثم اعتقاله الثاني بتهمة الشيوعية، وأخيرًا تجنيده كمرشد أمني وما تبع ذلك من عذاب نفسي، وكيف سلمت له زينب نفسها. لكن بسبب طريقة السرد، وكيف يستخرجها الراوي ويعلق عليها أو يلخصها، تفقد هذه الاعترافات قوتها الدرامية وتفقد شخصية إسماعيل، الروائية، استقلاليتها وتصير كأنها محض أداة في يد الكاتب لعرض رؤيته ونقده لممارسات النظام القمعي.

يتكرر النمط عينه في الفصل الثالث مع زينب دياب، لكن بطريقة أكثر إثارة للجدل بسبب حساسية وحميمية ما تحكيه زينب، والذي يمكن أن تحكيه لطبيب نفسي وليس للراوي مهما تكن طبيعة الصداقة بينهما لغياب أي دافع درامي مبرر لهذا التفريغ الحكائي. وهذا يؤكد مرة أخرى أن الراوي ليس شخصا حقيقيا، داخل منطق النص، إنما هو آلية سردية تعمل وفق إملاءات الكاتب. دوره الوحيد هو تجميع هذه الشهادات وتنظيمها للقارئ.

وهذا يفرض بدوره سؤالا عن المروي له. من هو؟ لا نجد في الرواية أي إشارة، مباشرة أو ضمنية، لوجود مخاطَب في النص يتوجه إليه الراوي بالسرد، ولذلك يبدو الراوي في أغلب الأحيان يخاطب القارئ مباشرة، والأسوأ أن الخطاب يأتي بصيغة وعظية تقريرية ومباشرة، كأنه يكتب مقالا سياسيا أو يخطب في الجموع.

غياب المروي له يأتي بسؤال مشابه: لماذا يحكي هذا الراوي قصة جماعة الكرنك؟ ما الدافع النفسي أو الأخلاقي أو الشخصي الذي يحركه؟ هل هو شاهد عيان يريد توثيق ما رأى؟ صديق محب يريد تكريم ذكرى الأصدقاء؟ مواطن غاضب يريد فضح الظلم؟ كاتب يجمع مادة للنشر؟ النص لا يقدم إجابة واضحة، مما يجعل فعل السرد نفسه يبدو مصطنعا. الراوي يحكي لأن محفوظ يريده أن يحكي، لا لأن لديه دافعا شخصيا للحكي. هذا النقص في التبرير الدرامي يجعل القارئ يشعر بأنه يقرأ تقريرا أكثر من رواية، وثيقة مُجمّعة أكثر من حكاية تتدفق من ضرورة إنسانية. يبدو الراوي موظفا متقاعدا، لكن هذه المعلومة نفسها غامضة في النص. لا نعرف عنه الكثير: عمره، مهنته، خلفيته، أو حتى اسمه. وهذا الغموض يؤدي إلى غياب المبرر الدرامي للسرد، خاصة أن تفاعله مع الشخصيات الأخرى منحصر في عملية الاستنطاق، وفي الخلفية، تتكاثر المونولوجات التي يتكلّم فيها الراوي بصوت الناقد الاجتماعي والمحلل السياسي، مستخدما أسلوبا خطابيا صريحا.

عندما يتحول الراوي إلى محلل سياسي يخاطب القارئ مباشرة، فهو يخرج من دوره كشخصية داخل العالم الروائي ويكسر الجدار الرابع للسرد، الذي بموجبه يحافظ النص على عامل الإيهام. الراوي لا دور له في النص غير أنه أداة الكاتب لتوصيل رسالة. النتيجة تشويش في طبقات السرد وانكسار الإيهام الروائي.

المرافعة المقحمة

يكشف الفصل الأخير من الرواية بوضوح تام عن طبيعة الراوي كبوق، أو قناع، للكاتب. دخول خالد صفوان، الضابط السابق المسؤول عن تعذيب الشباب، يتيح لمحفوظ فرصة تقديم "الوجه الآخر" للقصة. يظهر خالد بعد انتهاء فترة سجنه، مريضا ومفلسا، ويبدأ في ارتياد المقهى. لكن الطريقة التي يقدم بها محفوظ هذا الوجه تفتقر تماما للمنطق الروائي. خالد صفوان، الذي عرفناه كرجل قاس ومتوحش، يظهر فجأة كمفكر سياسي عميق يحلل الأوضاع بموضوعية أكاديمية. يقول مثلا "كلنا مجرمون وكلنا ضحايا".

ويضيف في مرافعة طويلة "يوجد في وطننا دينيون، وهؤلاء يهمهم قبل كل شيء أن يسيطر الدين على الحياة، فلسفة وسياسة وأخلاقا واقتصادا (...)ويوجد يمينيون من نوع خاص، يتمنون التحالف مع أميركا وقطع العلاقات مع روسيا (...= ويوجد شيوعيون - والاشتراكيون فصيلة منهم - يهمهم قبل كل شيء الأيدولوجية وتوثيق العلاقاتٍ بروسيا...". وفي سياق آخر قال "هذه النّقطة بالذات تُحير العقول، ولكني أراها بسيطة. فثمة هزيمة وعدم استعداد للحرب، فيجب أن نحلها دون إبطاء، ولو دفعنا الثّمن، لننفق كل مليم على تقدمنا الحضاري...".

الراوي بوق وقناع للكاتب

شهادة تاريخية تعاني من نقائص فنية

هذا التحليل السياسي المفصل لا يتسق مطلقا مع شخصيته كما رسمها محفوظ في اعترافات إسماعيل وزينب. لا تَسبق هذا التحوّل إشارات درامية تُهيئ له، ولا ترافقه توتّرات نفسية تقنعه، إنّه قفزة أيديولوجية صريحة تكشف انتحال مقال تحليلي على لسان شخصية يفترض أنها روائية.

ولا يقل عن ذلك سوءا، في الفصل الأخير نفسه، الإقحام الفج الذي اعتمده الكاتب في إدخال شخصية منير أحمد. هذا الشاب الجامعي يظهر فجأة ليمثل "صوت المستقبل" و"الجيل الجديد" الذي سيتجاوز أخطاء الماضي. لكن وجوده في النص يبدو مصطنعا تماما، بلا مبرر روائي حقيقي. إنه يمثل أوضح حالة على استخدام الشخصيات كأدوات فكرية، وجاء به الكاتب ليمنح للراوي، ومن خلاله، حق المرافعة الأخيرة في الرواية.

البوليفونية الزائفة

أما وقد وصلنا إلى هنا فلا مفر من الحديث عن إشكالية أخرى في الرواية، وهي نتيجة طبيعية للحضور الشبحي للراوي، الذي يوظفه الكاتب قناعا له أكثر مما هو شخصية روائية تقوم بمقام السرد. لنتأمل في هذه العبارات الست: "رثيت له، وتوجست منه خيفة، فتشفعت له عند صاحب الملهى"./ "كيف لا أحترم حزن من علّمني تقديس الحزن من حزني عليه؟"./ "حقا علمت ما لم يكن لي به علم"./ "وستذهب إلى السبيل"./ "ثم اضطرب تفكيري فضلّ ضلالا كبيرا"./ "وقد يلتقي الشتيتان".

ألا تبدو هذه العبارات متشابهات حد التطابق، أسلوبيا، كأنها جاءت على لسان الشخص نفسه؟ إنها فعلا متشابهة، بل متطابقة أسلوبيا وفكريا، لكنها جاءت في الرواية على ألسنة شخصيات مختلفة. أولها على لسان الراقصة قرنفلة، صاحبة المقهى، والثانية على لسان الموظف زين العابدين، والثالثة على لسان الراوي، والرابعة والسادسة على لسان خالد صفوان، والخامسة على لسان زينب دياب.

تكشف هذه العبارات، وهي غيض من فيض، عن وحدة أسلوبية وتوحد صوتي يجمع كل شخصيات الرواية. هذه ليست لغة شخصيات متنوعة من بيئات مختلفة، إنما هي لغة كاتب واحد يوزع أفكاره على أفواه متعددة. وغني عن البيان أن بعض تلكم العبارات لا يمكن أن يأتي في أي محادثة طبيعية.

بين الرواية والوثيقة

تضع هذه الانحرافات سؤال التصنيف الروائي أمام المحك. الحدث لا يتنامى عضويا من احتكاك الشخصيات داخل المقهى بقدر ما ينتقل من شهادة إلى أخرى وفق خطة موضوعية تنشد التوثيق. حركات الاختفاء المتكرر للشباب وعوداتهم المحطّمة تأتي غالبًا في صيغة تقارير موجزة لا في مشاهد مفصّلة تتيح للمأساة أن تُجسّد نفسها. الراوي لا يصف، بل يُخبر. يقول عن أحد الشباب: "عاد بعد سنوات مريضا بالسل". هذه جملة تقرير طبي، لا مشهد روائي. حتى عندما يتحدث عن التعذيب، فإنه يستخدم لغة عامة ومجردة: "أنواع العذاب الجسدي والنفسي". لا نرى التعذيب، لا نسمع صرخات الضحايا، لا نشم رائحة الخوف. كل شيء يمر عبر فلتر الراوي الذي يتجنب بعناية أي تفاصيل حسية قد تثير المشاعر.

هذا الاختيار الأسلوبي يخلق مسافة هائلة بين القارئ والأحداث. بدلا من أن نعيش المأساة مع الشخصيات، نحن نستمع إلى ملخص بارد لها. هذا يتعارض مع أبسط قواعد الكتابة الروائية التي تدعو إلى "إظهار" لا "إخبار". محفوظ، الذي كان سيد الوصف في ثلاثيته، يتخلى هنا عن أدواته الأكثر قوة.

الرواي عندما يتحول إلى محلل سياسي يخاطب القارئ مباشرة، فهو يخرج من دوره كشخصية داخل العالم الروائي

تكشف الرواية عن رغبة واضحة لدى نجيب محفوظ في تقديم شهادة ملحة على فترة تاريخية حاسمة. محفوظ يريد أن يقول أشياء مهمة عن الاستبداد والحرية، عن الثورة والهزيمة، عن تدمير الإنسان تحت وطأة القمع السياسي. لكن المشكلة أنه اختار أن يقدم ذلك عبر الشكل الروائي دون أن يحترم أساسيات الفن الروائي. النتيجة الفعلية هي عمل يقرأ كمقالة سياسية موسعة، أو مرافعة وعظية، أكثر مما يقرأ كرواية، كعمل فني، وهو أمر مستبعد أن يمر مرور الكرام لو كان جاء بتوقيع كاتب مغمور، وليس كاتبا بسلطة نجيب محفوظ.

لا يعني هذا أنّ النص يخلو من لحظات حساسة أو نبرات وجع صادقة، بل يعني أنّ التقنية التي أوكل إليها حمل هذه اللحظات لم تُصمّم بما يحفظ شروطها الفنية.

تبقى رواية "الكرنك"، رفقة روايات أخرى وأعمال فنية متعددة، وثيقة لفهم الحالة المصرية خلال الستينات، إنّها تُسمعنا صرير دواليب الدولة حين تطحن الأفراد، وتعرّفنا على وجوه تتكسر وتخرج من المعتقلات بعيون مطفأة. لكن الفن، حين يُحمّل بعبء الوثيقة، يحتاج إلى ما يحفظ خصوصية كل منهما: الوثيقة تنطق بما جرى، والروايةُ تُعيد خلقه في عالم يتنفّس قوانينه الداخلية.

إنّ اختيار الضمير والبؤرة ومسافة السرد قرارات معرفية وأخلاقية معا. وإن الالتزام، إذا أراد أن يلتصق بالأدب، عليه ألا يقف على منبر الخطابة داخل الرواية، بل يتوزّع في نَفَس الشخصيات، يسري في تفاصيل المشهد، يُلمّح أكثر مما يُصرّح.

تضحي رواية الكرنك بالكثير من أركان العالم الروائي في سبيل إيصال رسالتها السياسية المباشرة. قوتها تكمن في كونها شهادة جريئة وصادمة على حقبة تاريخية، لكنها كبناء روائي، كعمل فني، تعاني من مباشرة مفرطة، وتقريرية وعظية، وشخصيات نمطية، وهيمنة مطلقة لصوت الكاتب على حساب أصوات شخصيات الرواية، مما يجعلها أقرب إلى مقال سياسي منها إلى عمل فني مكتمل النضج.

علينا ألا نستهين بقواعد اللعبة ونحن نسعى إلى قول ما يجب أن يقال، وأن نترك للعالم الروائي حقه في أن يكون عالما لا جوقةً تُنشد ما رتّبه المؤلف سلفا. فإذا كان التاريخ يطلب الشهادة، فإن الفن يطلب الحياة، ولا حياة بلا أصوات متمايزة، وبلا راو يعرف حدود معرفته ودوافع حكيه، وبلا مروي له واضح الهوية، وبلا مسافة تحفظ للقارئ مقامه شريكا في بناء المعنى لا متلقيا لبيان مُحكَم الصياغة.

العرب
الأحد 2025/08/24
السنة 48 العدد 13585

لشبونة.. فسيفساء الحواس الخمس وصوت البحر الغائب

مدينة تحرس الأفق وتعلّم زائرها منذ البداية أن يرفع رأسه دائما

المدن التي تنجح في ربط ماضيها بحاضرها بسلاسة وتكامل، والتي تفتح صدرها للغريب قبل سـاكنها وتجمع قاطنيها مثل أم، لا بد أن تكون مدنا راسـخة في الوجدان البشري، وقبلة لمحبي السفر واكتشاف وجوه أخرى من التاريخ البشـري والحيـاة، من تلك المدن عاصمة البرتغال الشـهيرة لشبونة.

عبدالكريم البليخ
صحافي سوري

لشـبونة، تلـك العاصمـة البرتغالية التـي تجلس عند فم نهـر تاجوس كأنها علـى حافة اعتـراف أبدي مـع البحر، لا تُختصـر في صورة واحـدة، ولا تُقرأ في فصل قصير.

إنهـا نـص طويـل، رواية متشـابكة الخيوط، كتبتها أيدي التجار والمغامرين والبحارة والشـعراء والفقـراء على مدى قرون، وما زالت مستمرة في الكتابة. حين تسأل: لماذا لشـبونة مشهورة؟ قد تأتيك الأجوبة السـريعة: طعامها، هندسـتها، موسـيقاها، مناخها، كونها مـلاذاً للبدو الرقميـيـن والمتقاعدين والمسـتثمرين، لكن الحقيقة أعمق من ذلك بكثير؛ شهرتها ليسـت عرضاً زمنياً، بل هي تراكم معنى، حيث تنصهـر الجغرافيـا بالتاريـخ، ويختلط الملح بالدمع وبالذهب.

حضن يحمل جراحا

المطـار هو أول ما يواجـه القادمين، مطار هومبرتو ديلجادو، الذي افتتح عام 1942 ثم صار بوابـة البرتغال الأولى. إنه ليس مجرد محطة طيران، بل رمز لاتصال لشـبونة بالعالم. من هنـا تعبر الطائرات نحـو أوروبـا وأميركا وأفريقيا وآسـيا، فتتحول المدينة إلى عقدة سـفر عالمية.

> مدينة لشبونة ليست حجارة ولا أبراجا ولا قلاعا فقط، إنها وجوه الناس الذين يسكنونها ويمنحونها روحها الفريدة

إنـه الامتـداد الجديـد للبحـر: إذا كانت السفن في الماضي هي التي جلبت العالم إلى لشبونة، فإن الطائرات اليوم هي التي تفتحها على العولمة.

لشـبونة، عاصمـة البرتغال وسـيدة مدنها، تجلس عند عتبة المحيط الأطلسي كأنها تحرس الأفق وتسـتمع لوشوشات المـوج. مدينـة تحتضن فـي قلبها أكثر مـن نصف مليون إنسـان، يتوزعون على مسـاحة لا تتجـاوز مئة كيلومتـر مربع، لكنهـا تبدو أكبر مـن حدودها بألف مرة، لأن ما تمنحه من سـعة الروح يفيض على البحر والسماء معاً.

على الأرض، تبرز الجسـور كعلامات على هذا التحول. جسر 25 أبريل، المعلّق على تاجوس، يشـبه في تصميمه جسـر البوابة الذهبية في سـان فرانسيسـكو. إنه ليس مجرد وسيلة عبور، بل إعلان عن حداثة متأخرة، عن قدرة المدينة على ربط ضفتيها. أما جسـر فاسكو دي غاما، فهو الأطول في أوروبـا، يمتد كخيط لا ينتهي عبر النهـر، وكأنه اسـتعارة عن الامتداد البرتغالي التاريخي نحو العالم.

داخـل المدينـة، المتـرو الحديـث بواجهاتـه المزينـة بالأزوليجـو والفن المعاصر، يقـدّم تجربة بصريـة بقدر ما يقدم وسـيلة نقـل. كل محطة هي معرض صغير، كل جدار مرسوم يذكرك أن لشبونة لم تفقد حسـها الفني حتـى وهي تدخل عالم السرعة والعولمة.

منذ أن كانت مدينـة فينيقية صغيرة حوالي عام 1200 قبل الميلاد، وهي تحاول أن تفهم نفسها، أن تعيد تعريف ذاتها مع كل غـازٍ وكل زائر. الرومـان مروا وتركوا طرقهـم، والمغاربـة جـاؤوا وحفروا في ذاكرتهـا المعمـار والحدائـق والكلمات، ثم جـاء الملك ألفونسـو الأول في القرن الثاني عشر ليستعيدها باسم المسيحية ويجعلهـا عاصمـة لبلد سـيصبح لاحقاً قوة بحرية عظمى. موقعها الإستراتيجي جعلهـا بوابة شـبه الجزيـرة الإيبيرية، مدينـة مفتوحـة علـى الأطلسـي، نقطة انطلاق ورجـوع، مركزاً للتجارة العالمية والتبـادل الثقافي، وصار اسـمها مقترناً بالرحـلات البحرية الكبـرى التي فتحت الطريق نحو الهند والبرازيل وأفريقيا.

ولأنهـا مبنية على سـبع تـلال، فإن لشـبونة تعلّم زائرها منذ البداية أن يرفع رأسـه دائمـاً: إلـى الأعلى حيث القلاع والكنائس والنقاط المرتفعة، وإلى الأسفل حيث الأزقـة المتعرجة والأحياء القديمة. هذه الطبيعـة الطوبوغرافية جعلت منها لوحـة بانورامية لا تنتهـي، فكل صعود يحمـل معه مشـقة، لكنه يكافئـك بنظرة علـى النهر، على الجسـور، علـى القباب الحمراء. وكأن المدينـة تريد أن تقول: لا معنـى للجمـال من دون جهـد، ولا معنى للرؤية من دون صعود.

ولشبونة ليست مجرد تاريخ صلد أو طوب مصفوف، بل هي إحسـاس إنساني متدفق. إنها مدينة إنسـانية بشكل لافت، مدينة تعرف الغريب لأنها عاشت الغربة، مدينـة تحتفظ بجراحها لكنها لا تكف عن الضحـك. يشـعر الغرباء أنهـا تمنحهم حضنـا صادقا، حتى لو كان حضنا مثقلا بالذكريات.

حيـن تطـأ قدمـاك لشـبونة، تـدرك أن هـذه المدينة ليسـت مجـرد عاصمة أوروبية عادية، بل مسرح مفتوح للتاريخ المعمـاري. كل مبنـى، كل قـوس، كل فسيفساء بلاط هو صفحة من كتاب طويل كُتب باليد، بالحجر، وبالزمن.

مـن قلعة سـاو خورخي التـي تعلو تلة في قلب ألفاما، تبـدأ الحكاية. حصن قديـم يعود إلى العصـر الحديدي، احتله الفينيقيون والرومـان والقوط الغربيون، ثم جاء المغاربة فحصّنوه ووسـعوه في القـرن العاشـر، قبل أن يسـتعيده الملك ألفونسـو الأول فـي لحظـة فاصلـة من اسـتعادة المسـيحيين للبرتغال. القلعة ليسـت حجراً فقـط، بل ذاكـرة متراكمة: قصر ملكي، معقل عسـكري، شـاهد على حروب واستعمار، واليوم وجهة سياحية. من أسـوارها، تُطل على النهـر والمدينة كأنـك تـرى لشـبونة فـي مـرآة زمنية. الحفريات تكشـف طبقاتها: مـن العصر الحديدي إلى بقايا مغربية إلى هياكل من القرون الوسـطى، بينما أشجار الزيتون والطواويـس التي تتجول بحرية تذكّر أن الحياة تستمر حتى فوق أنقاض القرون.

لكن لشبونة ليست ماضياً متجمداً، بل مدينة تعرف كيف تجعـل الجراح جمالاً. زلـزال 1755، ذلـك الحـدث الكارثي الذي دمّر معظـم أحيائها، لم يمحهـا بل أعاد صياغتها. فمن رماد الخراب، ولدت ساحة التجارة (براسا دو كوميرسيو)، بأروقتها الكلاسـيكية، كإعلان عن نهضـة جديدة. القوس الكبير في شـارع أوغوسـتا، ذلك الذي يسـتقبل الداخلين إلى قلب المدينة، هو ليس مجرد معمار، بل إعلان سياسـي ومعنوي أن المدينة قادرة على القيام بعد السقوط.

من أراد أن يفهم لشبونة حقاً، لا يكفي أن يتأمل قلاعها أو أبراجها أو سـاحاتها المهيبة، بل عليه أن يضيع في أزقتها، أن يسـمح لنفسه بأن يتنقل في متاهة ألفاما أو موراريـا أو بايرو ألتـو، حيث الحياة لا تُعـرض كلوحـة جاهـزة للسـائح، بل تنبض في الشـرفات الصغيـرة المعلقة، في رائحة الغسـيل المبتـل، في أصوات الجـدات اللواتي يتحدثن مـن نافذة إلى أخرى، وفي موسـيقى الفادو التي تتسلل من حانة ضيقة عند المساء.

ألفامـا، أقدم أحياء لشـبونة، يشـبه قلباً نابضاً بذاكرة لا تشيخ. الأزقة ضيقة ومتعرجة كأنها شـرايين، البيوت ملونة، الجدران مغطـاة بالأزوليجو الذي يحكي قصصـاً قديمـة، والهـواء مشـبع بروح البحـر القريـب. هنـا تتجسـد البرتغال الشعبية، لا برتغال القصور ولا المتاحف، بـل برتغال الناس الذين عاشـوا الهزائم والانتصارات، الذين غنوا الفادو كوسيلة للبقـاء، كموسـيقى تتغذى مـن الحنين والجرح معاً. السير في ألفاما ليس نزهة، بل تجربة حسـية كاملـة: صعود ونزول، ضحكات وأغنيات، ألوان وروائح.

الذاكرة طاقة للحاضر

لا يمكـن أن تُفهـم لشـبونة دون أن يُتذوق مطبخها، فالمطبخ هنا ليس مجرد مائدة لإشـباع الجوع، بـل كتاب آخر من كتب المدينة، كتاب يكتـب بالملح والنار والزيت والنبيـذ، كتاب تلتقي فيه الأزمنة كما تلتقي التوابل والروائح.

علـى السـواحل، يحضـر المحـار والجمبري والأخطبوط كجزء من يوميات البحر. طبق "أميجواش آ بولو باتو" يقدم المحـار مطبوخاً بالثوم وزيـت الزيتون والكزبـرة والنبيـذ الأبيـض، وهو مثال على بسـاطة المكونات وعمق الطعم. أما الأخطبوط، فله مكانـة خاصة في "بولفو آ لاجاريـرو"، حيـث يُخبز مـع البطاطا وزيـت الزيتـون والثوم، ليقـدّم كقصيدة بحرية كاملة. وفـي المقاهي تجد القهوة السوداء تقدم مع قطعة حلوى كأنها لازمة موسـيقية للحيـاة اليومية.هكذا يصبح الطعام لغة أخرى لفهم لشبونة، لغة تذوق لكنها أيضاً لغة ذاكرة وتأمل.

فـي لشـبونة، الثقافة ليسـت زخرفة تضـاف علـى جـدار المدينـة، بـل هي قلبهـا النابض، دمها الجـاري في الأزقة والميادين، وأكثـر مـا يعبّـر عـن روح لشـبونة هو موسيقى الفادو. تلك الأغنية الحزينـة التـي ولـدت في أحيـاء ألفاما ومواريا، على ألسنة نساء ينتظرن عودة البحارة أو يبكين غيابهم، ثم تحولت إلى تراث وطني. الفادو ليس مجرد موسيقى، بل هو إحساس مكتمل: لحن على الغيتار البرتغالي ذي الأوتـار المزدوجة، صوت يخـرج مـن الأعماق محمـلاً بالحنيـن والخـذلان، وكلمـات تحكـي عـن الحب والغيـاب والفقد. حين تسـمعه في حانة صغيـرة، مـع كأس نبيـذ أحمـر وضوء خافت، تدرك أن لشـبونة نفسها تغني، أن المدينة تجلس بجانبـك لتبوح بأحزانها وأحلامها.

لكن الثقافة في لشـبونة ليسـت كلها فـادو وحنين، بل هي أيضاً متاحف كبرى تعكـس تنـوع الأزمنة. متحف كالوسـت غولبنكيـان، مثلاً، يشـبه صنـدوق كنوز عالمـي. هنـا تجد فنـون مصـر القديمة وروما الكلاسيكية والشرق الإسلامي، إلى جانب لوحـات أوروبية من القرن الحادي عشر إلى القرن العشرين. إنه ليس متحفاً عاديـاً، بل شـهادة على عبـور الثقافات، على قدرة المدينـة أن تكون ملتقى للزمن والجغرافيـا. الحدائـق المحيطة به تزيد التجربة شـاعرية، كأنك تسـير بين الفن والطبيعة معاً.

أمـا متحف الأزوليجـو الوطني، فهو مملكـة للبـلاط الـذي جعل مـن جدران البرتغـال روايـة معلقـة. مـن البلاطات الإسلامية الأولى ذات الأشكال الهندسية، إلـى اللوحات الزرقـاء والبيضـاء التي تحكي قصصاً دينيـة وتاريخية، تجد أن الأزوليجـو ليـس مجرد زخرفة بل سـرد بصري للهوية. المشـي في أروقته يشبه قراءة كتاب مكتوب بالحجر المزجج.

وللشـبونة أيضاً أدبهـا، الذي يحمل بصمتها في الشـعر والروايـة. يكفي أن نذكر فرناندو بيسـوا، ذلك الشـاعر الذي جعل مـن المدينة جزءاً من نصه ومن هويته.

وحتى فـي ملاعبها، هناك ثقافة. ملعب بنفيكا ليس فقط ساحة رياضية، بل مسرح لهويّة جماعيـة. جماهير النادي ليست مجرد مشـجعين، بـل مجتمع كامـل يغني معاً ويصـرخ معاً ويجد في كرة القدم خلاصاً من الفقر والوحدة.

لشـبونة ليسـت حجـارة ولا أبراجاً ولا قلاعـاً فقط، إنها وجـوه الناس الذين يسـكنونها ويمنحونهـا روحها. المدينة دون ناسها مجرد متحف صامت، لكن مع هؤلاء السكان تصبح نصاً حيّاً لا ينتهي. حين تمشي في شـوارعها، تلمح وجوهاً تبدو مألوفة كأنك رأيتها من قبل، وجوهاً دافئـة لكنها تحمـل في أعماقها شـجن البحر والغياب.

الحيـاة اليوميـة في لشـبونة تحمل إيقاعـاً خاصـاً. فـي الصبـاح، يخـرج الموظفـون ببـطء، لا عجلـة برلين ولا صرامة لندن، بل نوع من الهدوء المتأمل. في الظهيرة، الشـوارع تمتلئ بالسـياح والباعـة والموسـيقيين الجوالين. عند الغـروب، تتحـول المدينـة إلى مسـرح رومانسـي: الضوء الذهبي ينعكس على البلاط والأزوليجو، النهر يلمع مثل مرآة، والنـاس يتجمعـون عند الميـرادوروس لمشاهدة السماء. وفي الليل، يعلو الفادو، وتمتلئ الحانات بالموسيقى والضحكات.

> من أراد أن يفهم لشبونة لا يكفي أن يتأمل قلاعها أو أبراجها أو ساحاتها المهيبة، بل عليه أن يضيع في أزقتها

لشـبونة لـم تتوقـف عنـد الماضي، بـل تعلمت أن تجعـل من الذاكـرة طاقة للحاضر. الفادو، موسيقاها الأعمق، ليس إلا صـدى لتلـك التجارب: صـوت البحر الذي يأخذ ولا يعيد، وصوت الزلزال الذي يسـقط كل شـيء ثم يترك الناس واقفين بين الأنقاض. هذه الذاكرة ليست عائقاً، بل وقود للإبداع، تجعل من لشبونة مدينة تعـرف أن الجمـال لا يُولـد إلا مـن رحم الجرح.

أما الأحيـاء الجديدة مثل "أفينيداس نوفـاس" أو مناطـق "أوليفايـس"، فهي تعكس الوجه العصري للمدينة: شـوارع واسـعة، مبـانٍ حديثـة، مراكز تسـوق كبرى، شركات ناشئة، مقاهٍ عصرية.

لشبونة المعاصرة، ليست قطيعـة مع ماضيهـا، بل طبقـة جديدة تضـاف فـوق الطبقـات القديمـة. إنها مدينـة تعـرف أن التغييـر قـدر، لكنها تحـاول أن تجعـل مـن هـذا التغيير اسـتمراراً لا انقطاعاً. الجسور والمطار والمترو ليست مجرد بنى تحتية، بل هي اسـتعارات عن علاقة لشـبونة بالعالم: دائمـاً على العتبـة، دائماً بيـن الداخل والخارج، دائماً مسـتعدة للرحيل لكنها متشبثة بجذورها.

لوحة تعزف رائحة

لشـبونة ليسـت فقـط مدينـة تُقرأ بالعقـل أو تُفهـم بالتاريـخ، إنها مدينة تُحسّ بالجسـد أولاً: بالعين التي تلتقط ضوءهـا، بالقـدم التـي تصعـد تلالها، بالأنف الذي يشم روائحها، وبالأذن التي تصغي إلى أصواتها. إنها مدينة حسية بامتياز، مدينة تحوّل الحياة اليومية إلى احتفال جمالي.

الألـوان في لشـبونة لا تكتفي بطلاء الجـدران، بل تصنع لغـة بصرية كاملة. البيوت الصغيرة في ألفاما مطلية بألوان حمراء وزهرية وزرقـاء، النوافذ مؤطرة بالخشـب الأخضـر، الغسـيل المعلـق يضيف طبقـات جديدة من الألوان. حتى الأسـطح، المكسـوة بالقرميـد الأحمر، حين تُـرى من ميـرادورو دا سـينهورا دو مونتي، تشـكل سـجادة حمراء تمتد حتـى البحر. المدينة تبـدو كأنها لوحة فسيفسائية لا تنتهي.

المدينـة أيضـاً مليئـة بأصواتها. أصوات التـرام الصفـراء القديمة وهي تصعـد التـلال بصريرهـا المعدنـي، أصـوات باعـة السـمك فـي الأسـواق وهـم ينـادون على بضاعتهـم، أصوات الموسـيقيين الجوالـين في الشـوارع، وصوت الفادو في الليل، الذي يخرج من حنجرة امرأة جالسـة فـي حانة مظلمة لتغني عن الحب الضائع والبحر الغادر. كل هذه الأصوات تصنع موسيقى يومية، تجعل الزائر يشـعر أن لشـبونة لا تُرى فقط، بل تُعاش وتُسمع.

حتـى الرائحة جـزء مـن التجربة: رائحة السـردين المشـوي في الصيف، رائحة القهـوة في المقاهـي الصغيرة، رائحـة البحـر المالحة التـي تدخل مع الريح، ورائحة الخبز الطازج من الأفران. كل رائحة هي خيط في نسيج المدينة.

هكـذا، حين تـزور لشـبونة، فإنك لا تدخـل مدينة فقط، بـل تدخل تجربة حسـية كاملة. الضوء يرسـمك، الألوان تحتضنك، البلاط يروي لك القصص، البحر يذكّرك بالرحيل، والأصوات والروائح تحفر في ذاكرتك. وربما لهذا يعود الناس إليها مراراً: لأنها مدينة لا تترك أثراً عقلياً فقط، بل تترك بصمة في الجسد نفسه.

مدينة تكتب نفسها بالحجر

مدينة لا تُقرأ فقط.. بل تُعاش وتُشم وتُسمع

الحياة اليومية في لشبونة تحمل إيقاعا خاصا

العرب
الأحد 2025/08/24
السنة 48 العدد 13585

«في أرض الإخوة» يفضح مآسي المهاجرين الأفغان في إيران

ثلاث قصص تنكأ الجرح العالمي: العداء للمهاجرين والعنف ضدهم

قضية اللجوء هي قضية العصر، خزان مليء بالحكايات والقصص الإنسانية التراجيدية التي قد لا يقبلها عقل وضمير حي. اللاجئون الهاربون من الموت والدمار والحروب والتطرف والصراعات الدامية، مادة خصبة للسينما، التي تحاول أن تبقي جذوة الإنسانية نشيطة ضد النسيان. وهذا ما يقدمه فيلم "في أرض الإخوة".

علي المسعود
كاتب عراقي

رهـا أمير فضلي وعلي رضا قاسمي صوتان جديدان واعدان في السينما الإيرانية. يهدف فيلمهما الروائي الأول "في أرض الإخوة" إلى تسليط الضوء على الواقع القاسي الذي يواجهه ما يقرب من خمسة ملايين لاجئ أفغاني يعيشون في إيران. يروي الفيلم ثلاث قصص مترابطة تصور تحديات البدء من جديد في بيئة غير مرحبة بهم مع تسليط الضوء أيضا على مرونة الشعب الأفغاني وقوته.

تدور أحداث القصة حول ثلاثة أفراد من عائلة واحدة على مدى 30 عاما وهم يواجهون وحشية وتهديدات الشرطة بالترحيل. الفيلم رحلة مؤثرة تستكشف البحث عن مكان يسمى وطنا.

ثلاث حكايات

في بداية الفيلم، يتم تقديم ملاحظة ضرورية "هناك حوالي خمسة ملايين مهاجر أفغاني في إيران يعتبرون إيران 'أرضا للأخوة'. لكن اللاجئين الأفغان الذين يعيشون هناك لا يعاملون مثل الإخوة".

> **عمل يأخذ المشاهد في رحلة إلى أجزاء مختلفة من إيران، كل فصل يقدم منظورا فريدا حول التأثير طويل المدى للحرب**

يتبع الفيلم عائلة أفغانية في إيران، تنقسم قصتها إلى ثلاثة فصول. الأول تدور أحداثه في عام 2001، ويتبع المراهق محمد (محمد حُسيني)، الذي يعيش مع والده، والعديد من العائلات الأخرى والمهاجرين، في الليل يتناولون العشاء تحت خيمة كبيرة ونسمع من راديو صغير الإذاعة الإخبارية الأفغانية: هجوم الطائرات الأميركية، وقصف أجزاء مختلفة من البلاد، وهروب طالبان، الذي يذكرنا بعام 2001، وبداية الغزو الأميركي وحلف شمال الأطلسي لأفغانستان وطرد طالبان.

محمد مهاجر أفغاني وتلميذ مدرسة يبلغ 15 عاما. يشعر بحب لليلى (حميدة جعفري) هي الأخرى أفغانية مهاجرة، ومعها يمضي أوقاتا مسروقة عن الأهل والأقارب، ويُلقنها اللغة الإنجليزية، ويصنع لها هدايا من أوراق الأشجار. ذات يوم، نراقب محمد وصديقيه بعد خروجهم من المدرسة، تتوقف سيارة شرطة في الطريق وينادي أحد أفرادها على محمد، يسأله "هل أنت أفغاني؟"، ولعدم امتلاكه الهوية، يأمره الشرطي أصغري (هَجير مُرادي) بمرافقته إلى مركز الشرطة، ويجبره مع مجموعة من الأفغان على تنفيذ أعمال الصبغ والتنظيف في مركز الشرطة، يأمره ضابط الشرطة بشكل تعسفي بإخلاء قبو غمرته المياه مليء بالمواد الأرشيفية. لا يتحدث عن ذلك مع والده، "ما الذي يستطيع فعله حيال ذلك؟".

يحافظ الطفل على سرية عمله الإجباري في مركز الشرطة، لتجنب تعريض عائلته للخطر والترحيل، تتكرر هذه العادة، كل يوم بعد مغادرته المدرسة، يجبره ضابط الشرطة على العمل في مركز الشرطة حتى العشاء. في النهاية، يزداد وضع محمد سوءا وظلما. يناقش الأمر مع مدير المدرسة، الذي يتدخل على ما يبدو ويرفع الأمر إلى قيادة الشرطة. لكن هذا لا يردع ضابط الشرطة في التربص بالصبي وجره لمركز الشرطة، حيث يتعرض إلى الاغتصاب من الشرطي داخل مركز الشرطة.

في اليوم التالي، يبحث الفتى (محمد) عن طريقة للتخلص من هذا الموقف حتى لا يضطر إلى التعامل مع قسم الشرطة كل يوم. ويقوم بضرب يده بالمطرقة وكسرها حتى يتخلص من الشرطي الوحش وأعمال السخرة. من خلال قصة محمد في الفصل الأول، نكتشف وبشكل مبكر أن إيران لا تشعر أبدا بأنها موطن أمين للوافدين الجدد.

في الفصل الثاني تكون ليلى محور الحكاية الثانية التي تدور أحداثها عام 2010، حيث نتابع ليلى (حميدة جعفري)، التي كانت تعيش مع محمد في مزرعة الطماطم. في الوقت الحاضر، بنت حياة جديدة لنفسها، عاملة في منزل فخم لزوجين ثريين (مهران فوزوغي ومرجان اتفاغيان)، في منطقة بندر أنزلي (بحر قزوين). في طريق عودتها إلى المنزل من المدرسة، وقبل أن تبدأ الأم في إعداد وجبات الطعام لضيوف أصحاب المنزل الذين تعمل في خدمتهم. صدمت بزوجها المريض، الذي لم يذهب إلى الأطباء خوفا من القبض عليه، جثة هامدة على الأرض، يموت زوجها، تاركا لها سؤالا عما يجب القيام به. ولأنها لا تملك تأمينا، فإنها لا تستطيع الذهاب إلى المستشفى، وقد يؤدي الاتصال بالشرطة إلى خطر ترحيلها. ومما زاد الطين بلة، أن تعمل في منزل مليء بالضيوف، ولن يكون من السهل إخفاء زوجها المتوفى.

على الرغم من كونها مليئة بالحزن، عليها الاستمرار في عملها والتغطية على غياب زوجها حتى لا يعرف موظفوها أصحاب البيت أنها فقدته خوفا من الترحيل، تخفي وفاة زوجها عن مالكها. تحاول إيجاد توازن بين تحضيرات تتناسب والاحتفال برأس السنة الفارسية، والاعتناء بابنها العائد من المدرسة، والموت المفاجئ لزوجها صباح اليوم نفسه. خوف يعتريها من قول حقيقة الوفاة، لأن إمكانية الترحيل واردة. خوف من إعلان حقيقة مرده خوف من خسارة منفذ لحياة مطلوبة. خوف من كشف مستور منبثق من رغبة في خروج آمن من مأزق عيش، يصبح القمع الذي يُظهر في هذا الجزء أكثر قسوة ووجعا، ويجبر المشاهدين على التفكير في فكرة أين يكمن تعاطفنا؟ ولماذا فقدناه؟

هذا الفصل يحطمك حقا كمشاهد، وذلك بفضل أداء الممثلة حميدة جعفري البسيط والممتع. في بلد يُفترض به أنْ يكون "أرض إخوة". الكذب (سمة شخصيات سينمائية إيرانية كثيرة، مع ما يصنعه الكذب من تعقيدات ومطبات وأهوال)، مدخل إلى إخفاء وقائع، بل إلى فضح هشاشة وانصياع إلى انفعال. موت الزوج سر، ودفنه في مكان ما في حديقة المنزل إذعان لاواع (ربما) لطغيان الخوف من مُقبل مجهول (الدفن بحد ذاته مشهد بديع سينمائيا، وحميدة جعفري باهرة في تأدية دورها في تلك الحكاية).

في هذا الفصل، هناك العديد من اللحظات القوية من المشاعر الخالية من الكلمات حيث تحاول ليلى عدم السماح بأن ينهار عالمها بشكل أساسي من حولها. يتألق التصوير السينمائي في هذا الفصل، ويظهر تناقضا صارخا بين تجربة ليلى وتجربة ضيوفها الإيرانيين. تم تصوير المستويين العلوي والسفلي من المنزل من الخارج بالنظر إلى الداخل، يشبه الطابقان العلوي والسفلي عالمين مختلفين، حيث يضحك ضيوف ليلى ويغنون في الأسفل بينما تقف ساكنة في الأعلى مهشمة الروح وحتى لا تستطيع البكاء كي لا ينكشف أمرها، متجمدة في الصدمة والخوف.

الفصل الثالث: ثالث الحكايات (2020)، يرويها قاسم (بشير نيكزاد)، الشقيق الأكبر لليلى. زوج هانية (مرجان خالقي)، البكماء، حين يعلمه المسؤول الأمني أن ابنه، الذي يُفترض به أنْ يعمل في تركيا تحضيرا للجوء إلى ألمانيا، ولكنه انضم إلى فرقة "فاطميون" (وهي ميليشيا شيعية تابعة للحرس الثوري الإيراني)، في سوريا وقتل هناك. وتحصل عائلته الآن على الجنسية الإيرانية كمكافأة على وجوده. تستعد العائلة لهذا الحفل في حالة صدمة وحزن. معرفته هذه يؤكدها مسؤول أمني، يعطيه الهاتف الجوال للابن الشهيد (لقطات تكشف اتصالات متكررة للأب بالهاتف نفسه، مع أن ردا واحدا يتكرر، عن عدم قدرة متلقي الاتصال على الرد حاليا)، يجب على الأب (قاسم) أن يقرر ما إذا كان سينقل الخبر إلى زوجته أم لا.

يعزز هذا الفصل ما فعلته الحرب في أفغانستان بهذه العائلات والأسرار والأكاذيب التي كان عليها الاحتفاظ بها لحماية نفسها وأحبائها. يذهب قاسم إلى مكتب الأجانب، ويؤدي هو وزوجته وابنته اليمين الدستورية كمواطنين في جمهورية إيران الإسلامية. الحيرة قاسية، كقسوة الخبر والواقع، حيرة بين إخبار الزوجة أم لا، والاستمرار في عيش مليء بأحلام تبدو له أوهاما، أم الانفضاض على هذا كله، بكاءً وقهرا وصراخا مكتوما، كتطهر شبه كامل من وجع وخيبة وانكسار.

الحكايات مفتوحة على أسئلة عيش وحياة، وانتماء ورغبات وتطلعات، وعلاقات ومشاعر ووقائع. يحمل "في أرض الإخوة" إشارات تراوح بين وضوح مخفف ومواربات جمالية تصنع أحد معالم متعة المشاهدة. الفيلم، إذ يوهم أن مرتكزه الأساسي معقود على سرد حكايات، فيها من النقد السياسي الاجتماعي الحياتي العقائدي مع كم كبير من التساؤلات والدلالات، ثلاث حكايات محملة بقهر وألم ومواجع.

نقاط الضعف

يأخذ فيلم "في أرض الإخوة" المشاهد في رحلة إلى أجزاء مختلفة من إيران، كل فصل يقدم منظورا فريدا حول التأثير طويل المدى للحرب في أفغانستان على شعبها. فقد الكثيرون شبابهم وأحباءهم بسبب النزاع، لكنهم يجدون القوة في عائلاتهم وأحبائهم للتعامل مع الصدمة. هذا الفيلم هو عمل ملهم وعميق يلقي الضوء على تجارب اللاجئين الأفغان ويقدم منظورا لإيران ربما لم يره العديد من المشاهدين من قبل. يُبرز الفيلم ما يعانيه لاجئون من تمييز وشروط عيش، تزيدها صعوبة مشكلة الانتماء المفروضة عليهم من بلد لا يعترف بأنهم جزء منه، رغم أن جيلا جديدا ولد ونشأ في إيران، وآخر لا يُعترف بمواطنته. هناك أيضا معاناة يومية، وعيش تحت ضغط الترحيل، أو فرض العمل الطوعي، وأحيانا تحرشات جنسية، أو فرض مشاركة في حرب لا تعنيهم في سوريا.

هذا الفيلم هو إنتاج دولي مشترك لثلاث دول: إيران وفرنسا وهولندا. تم عرضه لأول مرة في الثاني والعشرين من يناير 2024 في مهرجان صندانس السينمائي وفاز بجائزة أفضل إخراج. يمثل الفيلم علامة فارقة للكثيرين في الفريق. هذا هو أول فيلم روائي طويل مشترك لرها أمير فضلي وعلي قاسمي. كما أنه البطولة الأولى لمحمد حسيني، والمرة الأولى أمام الكاميرا للمشاركة في البطولة حميدة جعفري.

على الرغم من أن الشخصيات كلها في وضع غير مؤكد ومحفوف بالمخاطر، سواء بسبب عدم وجود وثائق إقامة أو بسبب عدم وجود حماية من هجمات الشرطة واستغلالها، إلا أنها تحاول وتستخدم أدوات مختلفة لتكون قادرة على التعامل مع المشاكل والأزمات، حتى لو كانت بضرب الشخصيات لأنفسهم وإيذائها. من خلال إيذاء نفسه جسديا، تحرر الصبي محمد من فخ التعذيب والأذى النفسي، بينما تحمي ليلى نفسها من الخوف من الرفض من خلال الكذب واختلاق القصص. ومن خلال الذهاب إلى الجبهة، يحاول ابن قاسم توفير ظروف أفضل لعائلته من حيث الإقامة.

نجح الفصل الأول في تصوير أجواء الخوف من مواجهة قوات الأمن والشرطة والمخيم. الخوف الذي يمكن رؤيته في وجوه وأصوات أصدقاء محمد أمام المدرسة، وخوفهم من الاقتراب من سيارة الشرطة، إلى جانب موسيقى وأجواء الفيلم. على الجانب الآخر، يبرز التعامل الإنساني مع هؤلاء المهاجرين في مشهد حين يستمع مدير المدرسة إلى كلمات محمد الطالب ووجعه ويوافق على الاتصال بقائد الشرطة بسبب سوء معاملة محمد وإكراهه على العمل.

لا يوجد إذلال أو إهانة أو ازدراء في النظام التعليمي، كما لو أن هناك نظرة متساوية بين الطلاب وبين المعلمين تجاه الطلاب الإيرانيين والمهاجرين. أو في حكاية ليلى في القسم الثاني، شابة أفغانية تعيش في منزل عائلة إيرانية وتعمل لديها: صاحبة المنزل لطيفة مع طفل ليلى، أوميد، تجعله يشارك في حفل الألعاب النارية مع الضيوف وكأنه واحد منهم. لا يوجد تمييز. إذا نظرنا إلى واقع حياة المهاجرين الأفغان في إيران، فإن القضية أكثر تعقيدا بكثير، وطبقات التمييز والإذلال أعمق مما يصور في هذا الفيلم عن وضع المهاجرين.

يدرس محمد وأصدقاؤه في مدرسة مهنية. هذا أيضا واقع مقلوب ومعلومة غير دقيقة، لأن أطفال المهاجرين الأفغان في إيران (بغض النظر عما إذا كانوا قد نشأوا أو ولدوا في إيران) محرومون أساسا من الحق في التعليم في المدارس الفنية والمهنية، تماما كما يحظر تسجيل المهاجرين الأفغان في مدارس الموهوبين والعديد من المدارس المجانية. يكفي الرجوع إلى صفحة المعلومات والشروط التي توفرها هذه المدارس للمؤهلين للالتحاق بها لرؤية مسألة حظر تواجد الطلاب الأجانب بوضوح.

يمتلك محمد وأصدقاؤه وثائق إقامة لكنهم يخافون من الشرطة. في الواقع، محمد وأصدقاؤه في المدرسة عزل ضد قوة الشرطة. يمكن للشرطة إجبارهم على العمل القسري، حتى لو كانت لديهم أدلة، لتقديم أسباب لترحيلهم. يبدو أن علي رضا قاسمي ورها أمير فضلي قد تخيلا عالما مثاليا يمكن فيه للمهاجر الأفغاني أن يكتسب مكانا محفوفا بالمخاطر ولكنه طبيعي لنفسه، وأن يتعلم ويتحدث علنا.

يمكن للمجتمع التواصل مع أطفال هذا المجتمع دون النظر إلى الآخر والإذلال والتفوق والبعد. الزوايا في الفيلم تشوه قليلا هذا العالم المثالي. يمكن رؤية وضع ليلى الأدنى في علاقتها وعلاقة طفلها بزوج المالك. يجب على أوميد البالغ من العمر ثماني سنوات أيضا اتخاذ إجراءات وتوفير حفلات للمالك الإيراني والعمل.

إن الأوامر والممنوعات والأسئلة العديدة للزوجين الإيرانيين، والتعبير عن الانزعاج من وجود الأدوات، والتعبير عن العمل واللون أمام المدخل، تظهر المسافة والعلاقة الطبقية بين ليلى والرجل والمرأة الإيرانيين. ولكن بدلا من ذلك، يتم دمج طفل ليلى، أوميد، بسهولة في شركتهم ويمكنه المشاركة في سعادتهم دون أي فرق. وقد جعل هذا الفيلم أقرب إلى فيلم سريالي عن مصير الأفغان وحياتهم.

قصة منح شهادات الميلاد والجنسية الإيرانية لأبناء "شهداء فاطميون" هي جزء ضعيف وإشكالي في هذا الفيلم. وجود المواطنين الأفغان وسيناريو منحهم الجنسية غريب جدا وغير مهني بالنسبة إلي. وبحسب الأدلة، فإن المقاتلين الذين تم تجنيدهم في فيلق "فاطميون" لأي سبب من الأسباب، بالإضافة إلى الراتب الشهري خلال فترة وجودهم في ساحة المعركة، في حال عودتهم أو أصيبوا أو جرحوا أو حتى قتلوا، يحصل أفراد عائلاتهم على نوع من الإقامة مما يسمح لهم بالتنقل بسهولة أكبر في مدن مختلفة من إيران، ويحصلون على خصم عند دفع الضريبة السنوية لتجديد البطاقة.

ثلاثة قلوب نقية

النفاق والأكاذيب والكراهية والغيرة كلها قيم غريبة عن القلوب الطاهرة. مثل قلوب الشخصيات الرئيسية الثلاث لفيلم "في أرض الإخوة"، هناك ثلاثة كائنات حنونة ومحبة: محمد وليلى وقاسم. إنهم أعضاء في عائلة لاجئة أفغانية، ونحن نتابع مصيرهم في ثلاثة أوقات مختلفة وثلاثة أماكن مختلفة في إيران. أولا، مركز شرطة مدمر في منطقة جبلية باردة مغطاة بالثلوج. بياض المشهد يعطي الفيلم ضوءا خاصا. ضوء ناعم ومنوم تقريبا. وثانيا فيلا ذات هندسة معمارية وحشية من السبعينات، في منطقة ساحلية تعد مكانا لقضاء العطلات للطبقة البرجوازية الإيرانية، وأخيرا، ورشة خياطة صغيرة في وسط شقة في ضاحية هادئة في طهران.

تتشابك قصص محمد وليلى وقاسم على مدى عقدين من الزمن، وهم الذين نزحوا إلى إيران نتيجة الغزو الأميركي لأفغانستان المجاورة (2001 – 2021). يتطرق الفيلم إلى قضايا مثل المثلية الجنسية والاغتصاب وكراهية الأجانب وإرهاب الترحيل أو تجنيد اللاجئين في مهام عسكرية مقابل الجنسية.

تقول رها أمير فضلي إنها التقت مع قاسمي في جامعة طهران للفنون، وعملا معا في موقع تصوير ثم في فيلمها القصير "كسوف الشمس" (2021). تقول المخرجة الشابة، وهي طفلة وحيدة، إنها كانت انطوائية منذ الطفولة. بدأت في دراسة الطب، لكن مصيرها أعادت توجيهه نحو السينما.

مثل العديد من زملائهما، اختارت أمير فضلي وعلي قاسمي مغادرة الجمهورية الإسلامية للحفاظ على سلامتهما، وهي تعيش اليوم في نيويورك والمخرج علي قاسمي في باريس. في مقابلة من منزلها الجديد، تقارن فضلي بغضب وحزن سياسة دونالد ترامب ضد المهاجرين، في مرحلته الجديدة على رأس حكومة الولايات المتحدة، "هي نفسها تماما" سياسة الحكومة الإسلامية الإيرانية تجاه المهاجرين واللاجئين من أفغانستان.

في الختام الفيلم سياسي يلامس القلب، لكنه جميل بشكل مذهل، مع صور بيضاء شبه شفافة، الفيلم يتحدث عن جرح عالمي: العداء للمهاجرين والعنف الذي يتبعه. العنف الذي يتم علاجه أحيانا من خلال إيماءات التضامن، الفردية أكثر منها الجماعية، كما نرى مرة أخرى في هذا الفيلم. الفيلم هو تذكير بمصير الملايين من الفلسطينيين الذين يعيشون في غزة والضفة الغربية، الذين يحلم نتنياهو وترامب بنقلهم إلى دول "شقيقة".

الحيرة قاسية كقسوة الخبر والواقع

اللحظات القوية من المشاعر الخالية من الكلمات

> **الفيلم يتطرق إلى قضايا مثل المثلية الجنسية والاغتصاب وكراهية الأجانب وإرهاب الترحيل أو تجنيد اللاجئين مقابل الجنسية**

العرب
الأحد 2025/08/24
السنة 48 العدد 13585

اللعب من الذاكرة الشعبية إلى المنافسات الرقمية

الرياض عاصمة عالمية للألعاب الإلكترونية ترسم مستقبل الصناعة

الرياض تبرز كعاصمة عالمية للألعاب الإلكترونية، مستضيفة كأس العالم للرياضات الإلكترونية، وتسعى لتحقيق 50 مليار ريال للناتج المحلي بحلول 2030. فانطلاقا من الألعاب من الحجر إلى المنافسات الرقمية، تعكس تطور المجتمع السعودي وهويته. والإستراتيجية الوطنية تدعم الشباب والاقتصاد عبر مبادرات شاملة، بينما تعزز الألعاب الثقافة والتاريخ كقوة ناعمة، مواكبة لرؤية 2030.

الرياض - بين شغف أبطال الرياضات الإلكترونية وحماس المتابعين والمهتمين، يشهد قطاع الألعاب والرياضات الإلكترونية في السعودية نموًا ملحوظًا، وتبرز إنجازات المملكة بصفتها قوةً رائدةً ترسم ملامح مستقبل صناعة الألعاب عالميًا، ضمن رؤيتها الطموحة لبناء منظومة متكاملة في هذا المجال.

وتحتضن الرياض سنويًا كأس العالم للرياضات الإلكترونية، الذي يجذب نخبة لاعبي الرياضات الإلكترونية القادمين من جميع أنحاء العالم، إلى هذا الحدث العالمي المتسارع.

ومع هذا الزخم يعود بنا الحنين إلى الماضي، إلى البدايات واللحظات الأولى، التي تعرّف فيها العالم عامة، والمملكة خاصة، على الألعاب الإلكترونية، وذكريات بدايات تلك الألعاب في المملكة والعالم بشكل عام.

وبدأت رحلة الإنسان مع الألعاب باللعب بالحجر والعصا، وصولًا إلى دقة المنافسات الرقمية على مسارح العالم، والرياض اليوم قلب نابض لهذا التحول التاريخي.

> تتميّز الألعاب الإلكترونية بشعبيتها الواسعة إذ تتجاوز مبيعاتها ملايين النسخ سنويًا، متفوقة على الكتب والأفلام

واستشعارًا لأهمية الاستثمار في طاقات الشباب، وإدراكًا لتأثير الألعاب الإلكترونية في حياتهم، وضعت المملكة بصمتها الخاصة في هذا القطاع الحيوي، مستثمرة مكانتها العالمية لدفع عجلة الإنجاز نحو آفاق أوسع، ومن هنا انطلقت بثقة نحو المستقبل.

ومع إعلان بطولة كأس العالم للرياضات الإلكترونية – الحدث الأكبر من نوعه على مستوى العالم – الذي تنظمه المملكة في الرياض سنويًا ابتداءً من صيف 2024، لتكون البطولة رافدًا رئيسًا في تحقيق المساعي الإستراتيجية لقطاع الألعاب والرياضات الإلكترونية، والمساهمة في تحقيق أكثر من 50 مليار ريال للناتج المحلي بحلول عام 2030، وتوفير 39 ألف فرصة عمل جديدة في القطاع، وتحويل مدينة الرياض إلى عاصمة للألعاب الإلكترونية، ولتصبح المملكة المركز العالمي الأول للألعاب والرياضات الإلكترونية، وترسيخ مكانتها وجهةً رائدةً لأبرز المنافسات الرياضية والعالمية.

الألعاب في حياة الإنسان

توضح الباحثة والمستشارة الثقافية غادة أبا الخيل لوكالة الأنباء السعودية (واس)، أن اللعب ممارسة إنسانية قديمة؛ منذ أن رفع الإنسان الأول حجرًا ليتقاذفه مع غيره، أو خطّ علامات على التراب ليتتبعها الأطفال.

وتجسّد الألعاب حاجة الإنسان العميقة إلى المحاكاة والانتماء للجماعة، وتعدّ امتدادًا للحياة اليومية في المجتمعات القديمة، ومن بينها الجزيرة العربية، حيث اندمجت الألعاب بالحياة الاجتماعية مثل: المنافسة البدنية، والتدريب على الصيد أو الفروسية، أو كونها مناسبة لاجتماع الصغار والكبار في فضاء واحد.

ومع تطور المجتمعات حملت الألعاب وظائف جديدة، فأصبحت لغة رمزية للتعبير، ووسيلة لتدريب العقل على التفكير الإستراتيجي أو الخيال، ومع دخول القرن العشرين تحول اللعب إلى تجربة رقمية: شاشة مضيئة، أزرار، وهذا الامتداد من الحجر إلى البرمجة يعكس قصة الإنسان نفسه، من بدائية البقاء إلى خيال التكنولوجيا.

وحول علاقة الإنسان باللعب، تؤكّد أستاذة التاريخ والباحثة في التاريخ والتقنية والهوية مها علي آل خشيل أن الإنسان يحمل في داخله حبًا فطريًا للعب؛ فهو وسيلة اكتشاف وفهم، من خلالها يبني الإنسان أولى علاقاته بما حوله، ومن خلاله يتعرف على العالم المحيط به، الذي ينمو معه، وتتسع دائرته مع كل سنة يخطوها في حياته، وتبين أن الألعاب اليوم انتقلت من كونها نمطًا من أنماط التسلية، إلى مكانها وسائط ثقافية وتعليمية، وقوة ناعمة تتجاوز الحدود، وتسهم في تشكيل الوعي والتفاعل الحضاري لأجيال تعيش اليوم بين عالمين: واقعي وافتراضي في آن واحد.

وتقول آل خشيل، منذ فجر التاريخ ولدت الألعاب بصفتها ممارسة ثقافية غنية بالمعاني والقيم، بل إن بعض الباحثين يرون أن اللعب سابق للثقافة ذاتها، وأنه كان أداة لترسيخ القيم، وبناء المجتمعات، وتعزيز التماسك بين أفرادها، ويرى آخرون أن الألعاب مرآة تعكس النظم الاجتماعية والقيم السائدة، إلى جانب كونها وسيلة تعليمية وتربوية رافقت الإنسان في مختلف مراحل تطوره.

فمن خلال اللعب يطوّر الفرد مهارات التعاون، والتفكير الإستراتيجي، والتخطيط، واتخاذ القرار، والتوازن بين الذات والآخر، كما أن الألعاب تلهم الخيال، وتحفز الإبداع، وتقدم مساحة للهروب من ضغوط الحياة، ونافذة للبهجة والاسترخاء والتواصل والحماس.

وعن العلاقة بين الألعاب والتاريخ والثقافة، تبين آل خشيل، أن الألعاب – سواء التقليدية أو الرقمية – تُعدّ وسيلة فعالة لنقل الموروث الثقافي؛ إذ تعكس في تفاصيلها ملامح المجتمع وتاريخه وقيمه ولهجاته، فهي ليست مجرد ترفيه، بل أداة تؤكد الهوية والانتماء، وتُعرّف اللاعب بثقافات وأماكن لم يعشها واقعًا.

ومع دخولها العالم الرقمي لم تفقد الألعاب جوهرها الثقافي، بل توسّعت لتصبح أحد أشكال "التاريخ الرقمي"، إذ تُستخدم لترسيخ الوعي التاريخي بطريقة تفاعلية تدمج بين الحدث والسياق، وتمنح اللاعب تجربة حية، تختلف عن قراءة النصوص، أو المشاهدة، أو الوسائط البصرية التاريخية.

الألعاب الرقمية

يشهد قطاع الألعاب الرقمية نموًا في التاريخ، إذ يرى باحثون أنها تثري الوعي الثقافي والتاريخي، وتشكل صورة جماعية بين اللاعبين والتاريخ، وتتميّز هذه الألعاب بشعبيتها الواسعة بين الشباب، إذ تتجاوز مبيعاتها الملايين من النسخ سنويًا، متفوقة على الكتب والدراسات والأفلام الوثائقية؛ ما يؤكد استمرار اهتمام الشباب بالتاريخ.

وعن نوستالجيا الألعاب في المملكة وما يعرف بـ"الحنين إلى الماضي" تشير الباحثة أبا الخيل إلى أن الألعاب الشعبية مثل (الحجلة، والصقلة، والكيرم...) تمثل تجسيدًا للذاكرة الجماعية في المملكة، إذ شكلت فضاءً اجتماعيًا يعلم الأطفال القيم والتعاون واحترام القواعد، وسط أهازيج وضحكات لا تنسى.

وتتذكّر أجيال ما قبل التقنية هذه الألعاب بحنين خاص، فهي مرتبطة بذاكرة المكان: أرض الحارة الترابية، جدران البيوت الطينية، ساحة المدرسة، وحين تعود هذه الألعاب اليوم في المهرجانات الوطنية أو في فعاليات التراث، فإنها لا تُقدَّم بصفتها عرضًا فولكلوريًا فحسب، بل وسيلة لإعادة ربط الأجيال الجديدة بتجارب جماعية صادقة عاشها من سبقهم.

وقالت، الألعاب في الذاكرة السعودية ليست مجرد ماضٍ بريء، بل جزء من سردية الهوية، تُحفظ صورة مجتمع يتغيّر سريعًا، لكنه يتشبث ببراءته الأولى، ويرتبط الحنين بانتقال اللعب من الحارة إلى الغرفة، من صوت الأطفال في الشارع، إلى تجمعهم حول الشاشات، وعندما تعيد شركات الألعاب إصدار نسخ "كلاسيكية" أو محاكيات للألعاب القديمة، فهي تستدعي ذاكرة جمعية متجذرة وتصبح الألعاب وثائق ثقافية وأرشيفًا يوثّق التحولات كما يوثّق الحنين.

وشكل دخول أجهزة الألعاب إلى المملكة في الثمانينات، مثل "الأتاري"، لحظة فارقة في الثقافة الشعبية، إذ تحوّل اللعب من الساحات الترابية إلى غرف المعيشة، ومن الجسد إلى الشاشة، وترافقت موجة "نينتندو" و"سيغا" مع انفتاح ثقافي عالمي، إذ بدأ الأطفال باكتشاف لغات ورموز جديدة من خلال التجربة والمجلات المترجمة، لم تكن هذه الأجهزة مجرد أدوات تسلية، بل أصبحت رموزًا ثقافية راسخة في ذاكرة التحول الاجتماعي والتكنولوجي.

وأكدت أستاذة التاريخ مها آل خشيل أن الألعاب الرقمية لم تعد مجرد ترفيه، بل أصبحت جزءًا أساسيًا من الثقافة العالمية الحديثة، تُستخدم في تطوير المهارات والتعليم، ومع تطور تقنيات الاتصال، تحوّلت الألعاب إلى سوق اقتصادي ضخم تُدرّ مليارات الدولارات، وأصبحت قوة ناعمة تُعيد تشكيل المشهد الثقافي العالمي.

اللعبة السعودية "ابن بطوطة" نموذج مبتكر للتجربة المحلية..

الباحثة أبا الخيل تناولت من خلال أحد أبحاثها تجربة نموذج مبتكر تمثل في لعبة "الرّكاز: في أثر ابن بطوطة" التي صدرت عام 2013، بصفتها نموذجًا سعوديًا لإنتاج الخيال الرقمي، أعادت صياغة شخصية الرحالة (ابن بطوطة) ضمن إطار معاصر من المغامرات والألغاز، ورغم محدودية نجاحها التقني، فقد شكلت تجربة رمزية مهمّة وتركت وراءها أثرًا ملهمًا للأجيال التالية من المطورين السعوديين.

وتؤكّد غادة أبا الخيل أن الألعاب في السياق السعودي أداة فعّالة لتجسيد عناصر التراث، مثل الأزياء التي تشتهر بها كل منطقة من مناطق المملكة، والعمارة الطينية أو الحجرية، واللهجات المحلية، وحتى الموروثات الشعبية، هذه العناصر حين تُترجم إلى بيئات رقمية، فإنها تتحوّل إلى جسر بين الذاكرة المحلية والفضاء العالمي، ظهر ذلك في لعبة "أبوخشم"، إذ ظهرت شوارع سعودية، وشخصيات تتحدث بروح محلية.

وقالت، رغم أن هذه المحاولات لا تزال في بداياتها، إلا أنها تكشف عن إمكانات واعدة لتحويل الألعاب إلى وسيلة معاصرة لتسويق التراث، لا عبر عرض متحفي جامد، بل من خلال التفاعل واللعب، ومن منظور أنثروبولوجي، يتجاوز الأمر الترفيه، ليُسهم في بناء ذاكرة رقمية تنقل التراث للأجيال القادمة وللعالم، إذ يختبر الطفل تجربة وجدانية أعمق عندما يتفاعل مع شخصية ترتدي زيًا تراثيًا داخل اللعبة، مقارنة بمشاهدته لعرض فولكلوري عابر.

وأشارت إلى أن القوة الناعمة تُبنى من خلال ما يلامس العاطفة والخيال أكثر مما يفرض بالقوة، والألعاب اليوم هي إحدى أكثر أدوات القوة الناعمة تأثيرًا، واستثمار المملكة في صناعة الألعاب والرياضات الإلكترونية لا يهدف إلى الاقتصاد فقط، بل أيضًا إلى بناء حضور ثقافي عالمي، خاصة في عالم مترابط رقميًا، لم تعد الألعاب مجرد منصة فردية، بل ساحات اجتماعية عابرة للحدود، ففي هذا الفضاء، يصبح السعودي الذي يشارك في لعبة عالمية سفيرًا غير رسمي، يتعرف الآخرون من خلاله على لغته وسلوكه وروح مجتمعه.

> الألعاب الرقمية تُستخدم لترسيخ الوعي التاريخي بطريقة تفاعلية تدمج بين الحدث والسياق وتمنح اللاعب تجربة حية

ولفتت النظر إلى أن المملكة استثمرت في هذا البعد عبر بطولات مثل "غايمرز 8" وكأس العالم للرياضات الإلكترونية، ولم يكن الحضور مقتصرًا على المنافسة، بل شمل أيضًا فعاليات ثقافية وسياحية، ومن يزر الرياض ليشارك في البطولة ومعه صورة جديدة عن السعودية، بلد مضياف متطور، قادر على تنظيم أحداث عالمية، هكذا تتحول الألعاب إلى وسيلة دبلوماسية شعبية، تبني جسورًا من التواصل، لا يمكن للسياسة وحدها أن تحققها.

المملكة للألعاب الإلكترونية

إقامة بطولات مثل كأس العالم للرياضات الإلكترونية ترسخ مكانة المملكة وجهة عالمية للألعاب والرياضات الإلكترونية والترفيه في هذا القطاع من حيث الحجم، والأنظمة المبتكرة، والمحتوى الرائد، والتجارب الجماهيرية التفاعلية، لتصبح الألعاب الإلكترونية رياضة عالمية، يشارك في أنشطتها بانتظام أكثر من 3.4 مليار شخص حول العالم، ووصل عدد مشاهدي الرياضات الإلكترونية في العالم إلى أكثر من 574 مليون مشاهد عالمي في عام 2024، ومن المتوقع أن يصل إلى أكثر من 640 مليون مشاهد بحلول عام 2027.

وفي نسخة هذا العام شارك أكثر من 2000 لاعب، يمثلون 200 فريق، ينتمون إلى أكثر من 100 دولة حول العالم، يتنافسون على جوائز تتجاوز 70 مليون دولار، عبر 25 بطولة تغطي 24 لعبة إلكترونية.

وأسهم تنظيم البطولة في تنشيط الاقتصاد المحلي بزيادة الطلب على الأجهزة والمنصات، وتحفيز مبيعات المتاجر والموردين، وإيجاد فرص استثمارية جديدة في مجالات البث الرقمي، وتنظيم الفعاليات، والتسويق الإلكتروني، بما يعزز مكانة المملكة مركزًا عالميًا لصناعة الألعاب الإلكترونية.

وفقًا لبيانات صادرة عن هيئة الزكاة والضريبة والجمارك (زاتكا)، سجّل قطاع الألعاب الإلكترونية في المملكة نموًا ملحوظًا خلال العامين الماضيين، إذ بلغ حجم واردات أجهزة ألعاب الفيديو خلال عامي 2024 و2025، ما مجموعه 2429524 جهازًا.

وفي جانب البنية التحتية الرقمية، سجّل تقرير "إنترنت السعودية 2024" الصادر عن هيئة الاتصالات والفضاء والتقنية تحسنًا ملحوظًا في معدل زمن الاستجابة لأشهر الألعاب الإلكترونية بنسبة 88 في المئة، إلى جانب ارتفاع مستويات الأداء وسرعات التحميل على مختلف المنصات.

دور تشريعي ورقابي

تؤكد هذه المؤشرات أن المملكة باتت وجهة إقليمية ودولية رائدة لاستضافة الفعاليات الكبرى في الألعاب الإلكترونية، بدعم من البنية التحتية التقنية والاستثمارات المستمرة في القطاع، ضمن مستهدفات رؤية المملكة 2030 لتنويع الاقتصاد وتعزيز الصناعات الرقمية.

وتنظم الهيئة العامة لتنظيم الإعلام قطاع الألعاب الإلكترونية، بفحص محتوى الألعاب الإلكترونية بالتعاون مع شركات نشر الألعاب الإلكترونية العالمية قبل الإعلان الرسمي العالمي عن ألعابها، وذلك لوضع التصنيف العمري المناسب لها قبل إصدار اللعبة ودخولها في الأسواق السعودية.

وتقوم الهيئة بالتعاون مع الوكالات المحلية بفحص محتويات النسخة النهائية من اللعبة ليتم تداولها في السوق السعودي بشكل رسمي.

وتمكّن الهيئة شركات نشر الألعاب الإلكترونية من دخول السوق السعودي وذلك بتعريفهم على السوق السعودي، وربطهم مع الوكالات المحلية، ومساعدتهم في محتوى اللعبة لتتناسب مع التصنيف العمري المناسب.

وبحسب هيئة تنظيم الإعلام فإن التصنيف العمري السعودي، هو أول تصنيف عمري في الشرق الأوسط، حيث بدأ بشكل رسمي في 2015، وأصبح إلزاميًا على جميع شركات نشر الألعاب الإلكترونية في أغسطس 2016، وينقسم إلى خمس فئات عمرية: (3 و7 و12 و16 و18)، وفي بداية العام الحالي 2025 وبعد العديد من الدراسات على التصانيف العمرية العالمية وتماشيًا مع تطور قطاع الألعاب الإلكترونية؛ طوّرت أنظمة تصنيف وفسح الألعاب الإلكترونية بإضافة تصنيف عمري جديد (مناسب لعمر 21 فما فوق)، وبذلك يعد التصنيف العمري السعودي للألعاب الإلكترونية هو الأسرع في العالم، إذ يستغرق تصنيف أيّ لعبة في السعودية من يوم إلى ثلاثة أيام عمل، ويتجاوز اليوم عدد الألعاب المصنفة عمريًا، سنويًا (700) لعبة، وعدد الألعاب المصنفة منذ بداية التصنيف حتى الآن (3700) لعبة مختلفة.

وتجسد جهود هيئة تنظيم الإعلام الدور الرسمي والحيوي لضمان بيئة آمنة ومناسبة لممارسة الألعاب الإلكترونية بالمملكة، وتوفير إطار تنظيمي يحقق التوازن بين مصالح جميع الأطراف ذات الصلة، وتمكين المواهب الوطنية وتعزيز تنافسية القطاع، ورفع مستوى وتطوير جودة المحتوى، وتعزيز البيئة الترفيهية للمستهلكين، وذلك انطلاقًا من إيمانها بأهمية تعزيز القيم الأخلاقية والثقافية في المجتمع، وحماية جيل الشباب من بعض مخاطر الألعاب الإلكترونية التي قد يستغلها أفراد أو جهات لتحقيق أهداف فكرية أو سلوكية مشبوهة تضر بالمجتمع.

الإستراتيجية الوطنية

مع إطلاق الإستراتيجية الوطنية للألعاب والرياضات الإلكترونية في 15 سبتمبر 2022؛ توالت وتيرة النجاحات وإنجازات النمو المتسارعة مدفوعة بطاقات وإبداعات الشباب السعودي وهواة الألعاب الإلكترونية.

وتنفذ هذه الإستراتيجية بـ86 مبادرة، تديرها نحو 20 جهة حكومية وخاصة، منها: حاضنات الأعمال، واستضافة الفعاليات الكبرى، وتأسيس أكاديميات تعليمية، وتطوير اللوائح التنظيمية المحفزة، وتتوزع ثمانية – محاور تركيز – للمبادرات تشمل: تطوير التقنية والأجهزة، وإنتاج الألعاب، والرياضات الإلكترونية، والخدمات الإضافية، ومحاور تمكينية أخرى مثل: البنية التحتية، واللوائح التنظيمية، والتعليم واستقطاب المواهب، وكذلك التمويل والدعم المالي.

ويأتي مشروع مدينة "القدية" أول مدينة في العالم صُممت للعب بشعار: "اللعب أسلوب حياة"، ضمن خطوات طموحة كبرى من رؤية المملكة 2030، تعيد فيه تعريف الترفيه قوة اقتصادية وثقافية ناعمة، تُواكب طموحات الأجيال وتفتح أبواب المستقبل.

من التسلية إلى الاستثمار

نوستالجيا

العرب
الأحد 2025/08/24
السنة 48 العدد 13585

التمارين البسيطة تساعد كبار السن على حرق الدهون وتحسين الحركة

الأيروبيك وتمارين التوازن يقللان مخاطر الإصابة بهشاشة العظام وضغط الدم

المشي يقوي عضلات الساق

يؤكد خبراء اللياقة البدنية على أهمية ممارسة التمارين الرياضية في حياة كبار السن، مشيرين إلى أن التمارين البسيطة مثل الأيروبيك وتمارين التوازن، يساعدان على حرق الدهون وتحسين الحركة ويقللان مخاطر الإصابة بهشاشة العظام وضغط الدم. ويلعب التوازن دورا محوريا في الحفاظ على استقلالية كبار السن وتقليل مخاطر السقوط والإصابات الخطيرة التي قد تنتج عنه.

لندن - تعد الرياضة بالنسبة لكبار السن أسلوب حياة صحي يساعد على الحفاظ على النشاط وتحسين جودة الحياة، خاصة مع التقدم في العمر.

وتساعد التمارين الرياضية في حرق الدهون وتقوية العضلات وتحسين المرونة، مما يقلل من مخاطر الأمراض المزمنة ويزيد من القدرة على الحركة باستقلالية.

وينعكس تأثير الخمول وعدم النشاط على الجسم انعكاسا سلبيا، مما يؤدي إلى زيادة نسبة الدهون في الجسم ونقص الكتلة العضلية وضعف قوة العضلات وانخفاض اللياقة البدنية وضمور العضلات الهيكلية، والذي يعدّ من أعراض الشيخوخة والتقدّم بالعمر، بجانب نقص النشاط البدني.

ومع تقدم العمر، يصبح النشاط البدني أكثر أهمية للحفاظ على الصحة والرفاهية العامة، خصوصا وأن العديد من كبار السن يعانون من انخفاض في اللياقة البدنية وقوة العضلات، مما يؤثر في قدرتهم على القيام بالأنشطة اليومية ويزيد من خطر الإصابة بأمراض مزمنة مثل ارتفاع ضغط الدم وأمراض القلب. لذلك يمكن أن تساعد ممارسة التمارين الرياضية بانتظام في تحسين نوعية الحياة وتعزيز المرونة وتقوية العضلات والعظام.

ويعد الحفاظ على التوازن الجيد أمرًا حيويًا بشكل خاص لكبار السن، فهو يلعب دورًا محوريًا في الحفاظ على استقلاليتهم وتقليل مخاطر السقوط والإصابات الخطيرة التي قد تنتج عنه. ومع التقدم في العمر، قد تتأثر قدرة الجسم على الحفاظ على استقراره بسبب عوامل متعددة مثل ضعف العضلات، وتدهور حاسة البصر وبعض المشكلات الصحية المزمنة.

ويرى خبراء اللياقة البدنية أنه يمكن تحسين التوازن بشكل كبير من خلال مجموعة من التمارين المصممة خصيصًا لتناسب احتياجات هذه الفئة العمرية.

ويمكن لكبار السن ممارسة الوقوف على قدم واحدة لبضع ثوان ثم التبديل إلى القدم الأخرى. هذا التمرين يعزز التوازن ويحسن قدرة الجسم على التحكم في الحركات.

كما يعد تمرين الكرسي أساسيا لتقوية عضلات الساق وتحسين التوازن، حيث يمكن الوقوف خلف كرسي والتمسك به، ثم رفع قدم واحدة ببطء إلى الجانب وإعادتها إلى مكانها. يكرر التمرين مع القدم الأخرى.

ويمكن أيضا البدء بالوقوف بجانب كرسي ثابت أو حائط لتوفير الدعم. ويمارس هذا التمرين بوضع اليد برفق على الدعم. ورفع إحدى القدمين ببطء عن الأرض، مع ثني الركبة قليلاً. ينبغي الحفاظ على هذا الوضع لمدة 10 إلى 30 ثانية. ثم التركز على نقطة ثابتة أمام الشخص للحفاظ على استقراره. يمكن تكرار التمرين من 5 إلى 10 مرات لكل ساق، مع التبديل بينهما. يجب أن يكون التنفس طبيعيًا ومستقرًا لزيادة الفعالية.

وفقدان التوازن وزيادة خطر السقوط من المشكلات الشائعة بين كبار السن، لذلك تساعد تمارين التوازن في تقوية العضلات الصغيرة التي تدعم المفاصل وتحسن الثبات أثناء الحركة.

> تمارين التوازن تساعد في تقوية العضلات الصغيرة التي تدعم المفاصل وتحسن الثبات أثناء الحركة ما يقلل من خطر السقوط

ويعد السقوط السبب الرئيسي للإصابات الخطيرة بين كبار السن، بما في ذلك الكسور التي قد تؤثر سلبًا على جودة حياتهم وقدرتهم على الحركة. وتساعد تمارين التوازن المنتظمة على تقوية العضلات المسؤولة عن الثبات وتحسين التنسيق بين أجزاء الجسم المختلفة، مما يقلل بشكل كبير من فرص التعثر والسقوط في الأنشطة اليومية، سواء داخل المنزل أو خارجه. إن الاستثمار في هذه التمارين هو استثمار في السلامة الشخصية والرفاهية.

وتعتبر أنشطة مثل اليوغا والـ"تاي تشي" مثالية لتحسين التوازن والتركيز، كما أنها تعزز الاسترخاء وتقلل من التوتر.

كما أن تمارين الكارديو وهي التمارين التي ترفع معدل ضربات القلب وتحسن كفاءة الجهاز التنفسي، تعتبر مثالية لكبار السن لأنها تساعد في تحسين صحة القلب والرئتين وتزيد من الطاقة اليومية.

ويعد المشي من أسهل التمارين وأكثرها أمانًا لكبار السن، حيث يمكنهم البدء بالمشي لمدة من 20إلى 30 دقيقة يوميًا، ويمكن زيادة الوقت أو السرعة تدريجيًا حسب القدرة.

كما تعتبر الدراجة الثابتة خيارًا ممتازًا للأشخاص الذين يعانون من مشاكل في المفاصل أو الظهر. فهي توفر تمرينًا لطيفًا للقلب دون الضغط على المفاصل.

وتعد السباحة نشاطا منخفض التأثير يمكن أن يساعد في تحسين لياقة القلب وقوة العضلات دون إجهاد الجسم.

ويمكن أن تساعد ممارسة الرياضة في تقليل مخاطر الإصابة بهشاشة العظام وإدارة مستوى ضغط الدم، والحفاظ على التوازن وتحسين الحالة المزاجية.

وتعمل رياضة اليوغا على زيادة المرونة ونطاق الحركة وتحسين الحالة المزاجية، وتعد نشاطا ممتازا لكبار السن الذين يعانون من آلام المفاصل ومشاكل التوازن. وحتى يوغا الكرسي هي بديل ممتاز لكبار السن. إلى جانب اليوغا يمكن أن يساعد التأمّل في الحفاظ على هدوء العقل وزيادة مستويات التركيز وتقليل مستويات التوتر.

ولأن الام المفاصل وضعف الركبتين تجعل من الصعب على كبار السن أداء معظم التدريبات أو الأنشطة، فإن التمارين الهوائية تضع ضغطاً أقل على المفاصل. وتشمل الركض المائي ورفع الساق وتمارين الضغط في الماء الراكد ولفائف الذراع وركلات الرفرفة.

كما أن تمارين وزن الجسم البسيطة، مثل القرفصاء وإطالة الساق أثناء الجلوس ورفع أصابع القدم، هي تمارين سهلة لأوزان الجسم يمكن لكبار السن القيام بها. هذه التمارين لا تضغط كثيراً على المفاصل، لكنها تساعد على حرق الكثير من السعرات الحرارية، ويمكن أن تساعد تمارين وزن الجسم على تقوية العضلات وتقوية الجسم وبناء كتل العضلات.

ويشير خبراء اللياقة البدنية إلى أن ممارسة التمارين الرياضية تعد أمرًا هامًا لمختلف الفئات العمرية بما في ذلك كبار السن، الذين ينبغي عليهم أن يمارسوا التمارين الرياضية معتدلة الشدة لمدة 150 دقيقة أسبوعيًا، وهذا يساعدهم في تجديد طاقتهم، والحفاظ على مرونة عضلاتهم، وقوتهم الجسدية، مما يجعلهم قادرين على القيام باحتياجاتهم الروتينية بأنفسهم مع تقدمهم أكثر بالعمر.

تفيد ممارسة الأنشطة بعد سن السبعين الصحة الجسدية، والعاطفية والعقلية لكبار السن، لذلك يجب أن يقوموا بممارسة تمارين رياضية متوازنة تشمل الأنشطة الهوائية، وتدريبات القوة، وتمارين التوازن، والمرونة.

رياضات قوة التحمل مناسبة للجميع

واشنطن - أوصت جمعية القلب الأميركية بممارسة رياضات قوة التحمل بمعدل لا يقل عن 150 دقيقة أسبوعيا، بواقع حوالي 30 دقيقة في خمسة أيام.

وأوضحت الجمعية أن رياضات قوة التحمل تشمل المشي (لمسافات طويلة) والسباحة وركوب الدراجات الهوائية والتجديف.

وتتمتع رياضات قوة التحمل بمزايا صحية مثل تعزيز صحة القلب، حيث تُقلل ممارسة رياضات قوة التحمل بانتظام من خطر ارتفاع ضغط الدم ومشاكل الكوليسترول والسِمنة، ما يعزز من صحة القلب.

كما تُخفف ممارسة رياضات قوة التحمل بانتظام الضغط على مفاصل الكاحلين والركبتين والوركين، ما يجعلها مناسبة بشكل خاص للأشخاص المصابين بالفُصال العظمي أو بعد الإصابات.

ويمكن للمبتدئين وكبار السن وذوي الإعاقة الاستفادة من رياضات قوة التحمل، لاسيما السباحة؛ نظرا إلى أن الماء يدعم وزن الجسم، ما يخفف الضغط على المفاصل بشكل شبه كامل. لذا تعد السباحة مفيدة بشكل خاص في حالات هشاشة العظام والألم العضلي الليفي وزيادة الوزن والسمنة والحمل ومحدودية الحركة مثل ضمور العضلات والشلل والتصلب اللويحي.

وتُعتبر قوة التحمّل العامل المشترك بين جميع الرياضيين لتحقيق النجاح، لكن بعض الرياضات تتطلّب جهدا أكبر بكثير من غيرها، ولا يستطيع إلا قلّة من الرياضيين أن يمارسوها ويحققوا فيها النجاح المأمول.

وتتطلب رياضة الجمباز على سبيل المثال، أن يكون الشخص قويا ومرنا ورشيقا ومنسقا وذا قدرة عالية على التحمل. ومن خلال ممارسة رياضة الجمباز، يمكن تطوير عضلات الذراعين والساقين والكتفين والظهر والصدر والبطن.

وعلى الرغم من أن فترة اللعب في رياضة الجمباز تعدّ قصيرة، فإن الجهد العام والعمل الجاد المطلوب من الرياضيين يجعلانها من أصعب رياضات التحمّل.

وتعد تمارين التحمل الأساس في تطوير القدرة على الأداء الرياضي الطويل والمستدام، لذلك من الضروري أن يدرك الرياضيون أهمية تمارين القوة في تعزيز التحمل.

وينصح الأطباء البالغين الذين يتمتعون بصحة جيدة بممارسة تمارين القوة التي تستهدف المجموعات العضلية الرئيسية مرتين على الأقل أسبوعيا، ومع ذلك، إذا كان لدى أيّ شخص مشاكل صحية، فمن المهم استشارة طبيبه قبل البدء بمثل هذا النوع من التمارين.

وتمارين التحمل البدني هي مجموعة من التمارين التي تركز على تعزيز قدرة الجسم على الأداء المستمر لفترات طويلة، وتهدف هذه التمارين إلى تحسين قدرة الرياضي على القيام بنشاط بدني دون التسبب في التعب السريع، ما يعني زيادة القدرة على التحمل البدني، ويشمل ذلك تحسين كفاءة الجهاز التنفسي، حيث يعزز قدرة الجسم على تزويد العضلات بالأكسجين اللازم لأداء الأنشطة بشكل أكثر كفاءة.

> الأطباء ينصحون البالغين بممارسة تمارين القوة التي تستهدف المجموعات العضلية الرئيسية مرتين على الأقل أسبوعيا

ويمكن تقسيم تمارين التحمل إلى نوعين رئيسيين: التحمل العام والتحمل المحدد، فبينما يركز التحمل العام على تحسين القدرة على أداء مجموعة واسعة من الأنشطة البدنية، فإن التحمل المحدد يركز على تحسين القدرة على أداء نشاط معين لفترة طويلة، على سبيل المثال، يمكن أن تشمل تمارين التحمل العام المشي أو الجري لمسافات طويلة، بينما قد تشمل تمارين التحمل المحدد تدريبات موجهة لتحسين الأداء في رياضات معينة مثل السباحة أو سباقات الماراثون .

رياضة تعزز صحة القلب

تدريب المشي يخفف ألم الفُصال العظمي للركبة

برلين - أظهرت نتائج دراسة علمية حديثة أجرتها جامعة يوتا الأميركية ونُشرت في مجلة "ذا لانسيت لأمراض الروماتيزم" المتخصصة أن تدريب المشي يخفف ألم الفُصال العظمي للركبة بنفس قدر الأدوية.

وفي هذه الدراسة، التي شملت 68 شخصا مصابا بالفصال العظمي للركبة واستمرت عاما كاملا، ساهم تعديل طفيف في زاوية القدم أثناء المشي في تقليل ألم المشاركين المصابين بالفُصال العظمي في الركبة بشكل ملحوظ خلال عام.

وبعد مرحلة تدريب استمرت ستة أسابيع والمزيد من التدريب الذاتي، تمكن المشاركون من الحفاظ على زاوية القدم الموصوفة لهم في حدود درجة واحدة في المتوسط.

ومقارنةً بمجموعة الدواء الوهمي "البلاسيبو"، كان تخفيف الألم يقع في مكان ما بين ما يُتوقع من دواء يُصرف دون وصفة طبية مثل الإيبوبروفين ومسكنات الألم الموصوفة طبيا مثل الأوكسيكودون.

كما توصلت نتائج الدراسة إلى أن تآكل غضروف المفصل كان أقل لدى الأشخاص، الذين خضعوا لتدريب المشي، مقارنة بالأشخاص، الذين تلقوا علاجا وهميا فقط.

وجدير الذكر أن الفُصال العظمي للركبة يعني تآكل غضروف مفصل الركبة، ما قد يكون مؤلما للغاية. وحاليا، لا توجد طريقة لعلاج هذا التلف الغضروفي. وعادة ما يتطلب الفُصال العظمي للركبة عقودا من إدارة الألم قبل التوصية باستبدال المفصل.

ولا يعتبر المشي مضراً لخشونة الركبة على الإطلاق بل على العكس تماماً فإن الأطباء ينصحون بالمواظبة على رياضة المشي ولو لفترات قصيرة من اليوم لما لذلك من دور كبير في تحفيز الدورة الدموية في جسم الفرد ما يسرع من عملية الشفاء في منطقة الإصابة، هذا لأن المشي يتم فيه تحريك كافة العضلات المتواجدة في الجسم وهو ما يعود على الفرد بالكثير من الفوائد.

> تآكل غضروف المفصل كان أقل لدى الأشخاص الذين خضعوا لتدريب المشي، مقارنة بالأشخاص الذين تلقوا علاجا وهميا

وقد أثبتت إحدى الدراسات الحديثة أن المشي له العديد من الفوائد للمرضى الذين يعانون من خشونة مفصل الركبة. وينصح خبراء اللياقة البدنية المرضى الذين يبدأون في مزاولة هذا النشاط بالمشي 3 آلاف خطوة يوميا على أن تتم زيادة مسافة المشي إلى أن تبلغ 6 آلاف خطوة. وهناك أجهزة إلكترونيه متوفرة معروفة باسم " بيدومتر" يتم وضعها في الجيب أو حول الخصر أو الرسغ لقياس عدد الخطوات التي يخطوها المريض.

وإذا كان المشي لفترة طويلة يسبب ألما للمريض فإن عليه أن يقسم المشي إلى فترات متقطعة يرتاح في ما بينها، فمن الأفضل أن تمارس التمارين الرياضية والمشي لمدة 150 دقيقة كل أسبوع، وهذا يعادل 30 دقيقة من المشي 5 مرات في الأسبوع، ومن الأفضل أن تكون النصف ساعة متقطعة.

ويشير الأطباء إلى أن المشي المدعوم بنظام غذائي صحي يساعد على تقليل وزن المريض وبالتالي يقلل من الأحمال الواقعة على المفصل. كما أن المشي يقلل من تأثير خشونة الركبة على وظيفة وحركة المفصل حيث يحافظ على ليونته وقوة العضلات المحيطه به، كما أنه يقوم بتحريك كافة عضلات الجسم وتنشيط ضخ الدم من القلب.

وينصح الأطباء المرضى بالابتعاد عن الرياضات التي تتسبب في زيادة الأحمال على المفاصل مثل الجري و الوثب والرياضات التي تتطلب تغييرا مفاجئا في اتجاه الحركة.

ورغم أن السباحة من الرياضات الممتازة التي تساعد على تحريك المفاصل وتقوية العضلات دون وضع أحمال كبيرة على المفاصل، إلا أن السباحة وحدها لا تغني عن المشي حيث أن المشي يقلل من هشاشة العظام و هو ما لا تحققه السباحة.

تآكل غضروف مفصل الركبة

تكافل اجتماعي متماسك

المجتمع الميزابي في الجزائر مثال في الانضباط والتكافل والتضامن على مدار قرون

قصور وادي ميزاب أبرز سمات الموروث الثقافي تعاني الإهمال والتخريب

يحافظ بنو ميزاب في الجزائر على تقاليدهم الراسخة التي تميز مجتمعهم وبالانضباط والتقيد الصارم والتعاون الجماعي منذ قرون، وهو مستمد من القيم الإباضية وتديره مجالس عرفية ما ساعد في الحفاظ على الهوية والثقافة المحلية رغم الزمن.

الجزائر - يبرز النظام الاجتماعي بمنطقة وادي ميزاب في ولاية غرداية التي تبعد بنحو 600 كيلومتر جنوبي الجزائر، كواحد من أبرز دعائم التماسك المجتمعي منذ مئات السنين، وقد نجح في إرساء معالمه في مختلف مناحي الحياة كالهندسة المعمارية الاستثنائية وإدارة التجارة والأعمال بنجاح كبير.

والمجتمع الميزابي الذي تشكل على أنقاض الدولة الرستمية، بحسب بعض العارفين في التاريخ، ليس في حاجة إلى إثبات نفسه، بل أصبح مثالا يحتذى به في الانضباط والتكافل والتضامن، وفي نفس الوقت منصهرا في السلطة الحكومية في تناغم تام بعيدا عن الصراعات والتجاذبات.

> انسجام المجتمع الميزابي يعود إلى البنية التحتية التي استثمرت في العنصر البشري وجعلت منه سفيرا للنموذج الحياتي الناجح

ويحرص بكير، أحد المنحدرين من قصر القرارة بغرداية وهو مهتم بشؤون أبناء منطقته في الجزائر العاصمة حيث يقيم، على الالتزام الدقيق بالقواعد والأحكام التي تحكم هذا المجتمع حتى لو كان بعيدا عن مسقط رأسه بمئات الكيلومترات.

وبالنسبة إلى بكير، لا يتعلق الأمر بالخوف من "الخروج عن الملة"، بل هي قناعة راسخة توارثها المزابيون أبا عن جد منذ قرون، ولا يمكن بأيّ حال من الأحوال التفريط فيها، فهو اليوم لا يمكنه إقامة حفل زواج ابنه لأنه ببساطة لم يحصل بعد على الضوء الأخضر من حلقة العزابة، الهيئة الأعلى والأهم في الهيكل التنظيمي للمجتمع الميزابي.

وحلقة العزابة هي هيئة تضم العلماء والأئمة والأعيان من أهل الرأي والمشورة من الشعب، تتولى الإشراف الكامل على شؤون المجتمع الإباضي الدينية والتعليمية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وتشمل مهامها - عبر المسجد - ضبط مواعيد الزواج، وتحديد قيمة المهور.

كما يعد مجلس العشيرة، والمجلس العائلي، من هيئات تركيبة المجتمع الميزابي، إلى جانب جمعية الشباب المعروفة أيضا باسم "نظام الحراسة"، والمجلس الديني النسائي الذي يختص بالأمور الدينية للنساء التي يستعصي على الرجال الخوض فيها.

ويفخر عمر بودي، أحد الصحافيين الرياضيين البارزين من الجيل الجديد، والذي ينحدر من غرداية وبالضبط من مدينة "قصر" بريان، بأن جده كان من الأعضاء البارزين في حلقة "العزابة" التي يعتبرها القلب النابض للنظام الاجتماعي في وادي ميزاب.

ويرى بودي أن هذا النظام "يتميز بالتقيد الصارم والتعاون الجماعي، وهو مستمد من القيم الإباضية، إذ يقوم المجتمع على مجالس عرفية تدير الشؤون المحلية، مثل مجلس 'العزابة' الذي يشرف على القضايا الدينية والاجتماعية، وينظم الحياة اليومية وفق مبادئ التضامن والانضباط، ما يعطي لسكان المنطقة ميزة روح التكافل، حيث تتوزع المسؤوليات بين الأفراد لضمان استقرار المجتمع."

وعن تجربته الشخصية، قال بودي إنه اكتشف عن قرب القوانين العرفية التي تحافظ على السلم (نظام الحراسة يومي بين أفراد المنطقة بالتناوب)، وتنظم الزواج (الأعراس الجماعية وكان بين العرسان في صيف 2019)، والميراث، وكذلك الأسواق.

ويؤكد أن هذا النظام، الموروث منذ قرون، ساعد في الحفاظ على الهوية والثقافة المحلية رغم التغيرات الزمنية، "وأضحى يضرب به المثل في العالم."

ويعيش يوسف بوعبون، وهو ناشط سياسي ومستثمر، في مدينة مارسيليا بفرنسا منذ 37 عاما، لكنه رغم ذلك لا يزال محافظا على التقاليد والأعراف، كما لو أنه يعيش في غرداية أو الجزائر، رغم اندماجه في مجتمع مختلف جذريا في جوانبه الثقافية والفكرية والروحية.

ويرجع بوعبون انسجام واتحاد المجتمع الميزابي في الداخل والخارج إلى "البنية التحتية التي استثمرت في العنصر البشري وجعلت منه سفيرا للنموذج الحياتي الناجح في الجزائر وخارجها."

كما يذكر أن من بين عناصر هذه البنية التحية "المركب"، أو الجمعية بمسمى القانون الفرنسي، والتي تضم المسجد والمدرسة القرآنية، اللذين يتوليان تعليم القرآن وتدريس اللغة العربية للمئات من التلاميذ، في خطواتهم الأولى نحو النجاح في حياتهم المهنية. والأمر هنا لا يخص مدينة مارسيليا فقط بل كل المدن الفرنسية والدول التي تضم جالية تنحدر من أصول ميزابية كالسعودية وبريطانيا وإسبانيا وكندا.

ويعد الدين الإسلامي عماد المجتمع الميزابي، حيث يتولى المسجد ضبط أهم المسائل التي تختص بالحياة اليومية والعلاقات بين الأفراد، حتى أصبحت الأعياد والمناسبات الدينية شواهد حقيقية لإظهار أن هذا المجتمع متوحد في بنيته وعاداته وتقاليده.

ويتبع الميزابيون، المذهب الإباضي (المذهب الإسلامي الأول في سلطنة عمان) الذي لا يختلف كثيرا عن المذهب المالكي الذي يتبعه أغلبية الجزائريين، بحسب ناصر حفار، رئيس جمعية خيرية تهتم بتقديم الخدمات والمساعدات لمن هو في حاجة إليها، كالتكفل بالمرضى، ونقل الموتى.

ويجسد "دار العرش" - الذي تقابله تسمية النُزُل - تعزيز اعتبار المسجد دعامة رئيسية في المجتمع الميزابي، حيث يتخذه الميزابيون في كل منطقة وبلدة يرحلون إليها من غير مدنهم الأصلية، سواء داخل الجزائر أو خارجها، فضاء للراحة، فيها قاعة للصلاة، وهي مجهزة بمرافق ووسائل الطهارة، ودون مقابل.

مكانة محترمة

ويمارس الناس فلسفةً بسيطةً هي "اعمل لدنياك كما لو أنك تعيش أبدا، واعمل لأخراك كما لو أنك تموت غداً"، وهكذا فالتكافل الاجتماعي شبيه بالنمط العمراني المتماسك، ما منح الإنسان الميزابي استمراريةً بارزةً عبرَ التراب والزمن، وخلود الجماعة في التاريخ والجغرافيا، وهو ما تحقق بعد أن صنفت منظمة اليونسكو، مدن بني ميزاب تراثاً إنسانياً منذ العام 1982.

وهم يشبهون إلى حد ما منتج "التجاوت"، وهي قربة مصنوعة من جلد الماعز لا يخلو جهاز عروس منها، فتحملها إلى بيت زوجها مرصعة بنسيج شبكي تحيكه من تيجان القرنقل.

وفي أيام الصيف الحارة تُملأ تلك القربة لتصبح مبرداً طبيعياً يروي العطش بالماء الزلال المعطر، بيد أن لها وظيفة اجتماعية أخرى، فغيابها من مِعْلقها في سطح المنزل يعني أن الزوج غائب، فيهبّ الجيران بإرسال أطفالهم للزوجة الوحيدة، بغرض الاطمئنان عليها وخدمتها، وقضاء حوائجها حتى عودة سيد بيتها.

ويشدد بودي، على أن المرأة الميزابية تحظى بمكانة محترمة، وتشارك في النشاط الاقتصادي المنزلي، ويؤكد آخرون أنه لا يسمح لها بالزواج من غير رجل ميزابي، حتى "لا تختلط الأنساب،" والأمر ينسحب كذلك في الغالب على الرجال.

ولكن بوعون، الذي تزوّج جزائرية تنحدر من مدينة خنشلة المحسوبة على منطقة الشاوية يقول، وكأنه يحاول تصحيح بعض المفاهيم والأفكار، أن والده المرحوم، لم يمانع أبدا في مصاهرة العرب، شريطة أن يكون المتقدم "يخاف الله ويقيم الصلاة،" في إشارة إلى اتّباع دين الإسلام.

كما دافع عن موقف الميزابيين من ثورة التحرير الجزائرية ضد المستعمر الفرنسي، مبرزا الموقف الشهير للشيخ بيوض - شغل منصب وزير في الحكومة الانتقالية الجزائرية - الذي رفض فصل الصحراء عن الجزائر، كما استدل أيضا بشاعر الثورة الراحل مفدي زكرياء، مؤلف النشيد الوطني "قسما".

ويعتبر ناصر حفار، أن النظام المجتمعي الميزابي الذي يتيح تشكيل لجان متخصصة في جميع المجالات التي تهم حياة السكان، لا يُعَدُّ إطلاقا التفافا أو تقويضا لسلطة الدولة، وإنما هيئة معنوية مساعدة وُجدت لخدمة المصلحة العامة.

ويشارك المجتمع الميزابي في الحياة السياسية كمكون فعال من خلال استوزار شخصيات منه في الحكومات المتعاقبة، وتولي البعض الآخر مسؤوليات حساسة، فضلا عن شغل عضوية الهيئات الرسمية.

ويشتهر الميزابيون بالتجارة في الكتان والخردوات والمنسوجات عبر كافة أنحاء الجزائر، التي يملكون بها محلات ومتاجر، لا بسبب الإتقان والمهارة، بل بسبب الصدق والأمانة وحسن الاقتصاد؛ لذا فإن مدنهم مزدهرة، عامرة بالمنتجات والسياح المحليين والأجانب، وهي الأكثر ترحاباً وأمناً وأماناً؛ إذ يخضع الزوّار لمرافقة مرشدين سياحيين مع التقيد بممنوعات، مثل عدم التجول بألبسة منافية للأدب والذوق العام، كما يمنع تصوير النساء والشيوخ والتدخين.

> حلقة العزابة هيئة تضم العلماء والأئمة والأعيان من أهل الرأي والمشورة تتولى الإشراف الكامل على جميع شؤون المجتمع

وتجسّد قصور وادي ميزاب أبرز سمات الموروث الثقافي لمنطقة يسمّيها المؤرّخون بـ"بلاد الشبكة"، نسبة إلى شبكة الأودية المترابطة التي تشقها من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي. وقد قال عنها المهندس المعماري الفرنسي الشهير، لوكور بوزييه، إنها "هندسة من دون مهندس،" معربا بذلك عن انبهاره بعمارة تلك القصور.

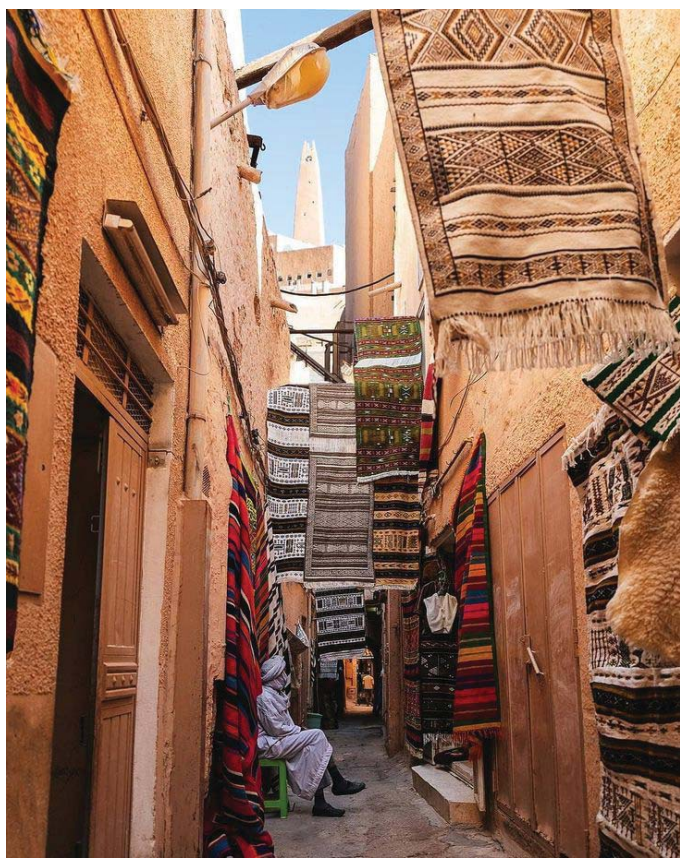

قناعات راسخة

ومن اليسير للزائر أن يلاحظ أنّه في أعالي كلّ قصر يأخذ المسجد موقع القلب بمنارته الهرمية، لتبرز من بعيد للزوّار خصوصية العمران المحلي، وحوله تلتفّ المنازل في سلم تنازلي، مشكلة أزقة ضيّقة ومتعرّجة تشعر الزائر كما لو كان داخل متاهة.

ويعدّ وادي ميزاب معقل الإباضية في الجزائر، ورغم كلّ التحوّلات التي تشهدها البلاد يحاول الإباضيون الحفاظ على هويتهم الثقافية والدينية والمعمارية في المنطقة، ولكن ذلك لم يمنع من حصول مواجهات واشتباكات عنيفة خلال الفترة القريبة الماضية في غرداية لاعتبارات طائفية.

وتحتضن القصور داخل أسوارها مكتبات يعود بعضها إلى القرن الثالث عشر للميلاد، كما تضمّ آبارا قديمة تحمل اسم حافريها، وغالبا ما توجد قرب كل بئر نخلة، ففي غرداية الماء مقدّس والنخلة أولى بالقطرة التي قد تذهب هدرا، وهذا ليس بغريب على حضارة ميزاب، فالذي عمّر المنطقة شبه الصحراوية، كان يدرك شحّ تساقط الأمطار فيها وفكّر مليا في قدسية الماء، التي تقول الأرقام الآن إنها لا تتجاوز 90 ملم في السنة.

وعند مخرج القصر في الأسفل توجد ساحة كبرى، هي بمثابة مركز للنشاط الاقتصادي والتجاري للمجتمع الميزابي، حيث تستقبل التجار من غرداية وخارجها.

العرب
الأحد 2025/08/24
السنة 48 العدد 13585

عمر الهلالي.. شمس مغربية تشرق في الليغا

● الموهبة تحتاج إلى عزيمة واستعداد دائم لتجاوز التحديات

● الهلالي.. ركيزة مرتقبة في دفاع الأسود

يسير عمر الهلالي بخطوات ثابتة ومتميزة على الساحة الكروية الإسبانية، مؤكدا أنّ الكرة المغربية لا تزال تزخر بالمواهب الفذة القادرة على التألق وإثبات حضورها في الملاعب الأوروبية. هذا الظهير الأيمن الشاب، الذي جمع بين شغف الكرة المغربية ودقة النظام التدريبي الأوروبي، أصبح الآن واحدا من أبرز الأسماء الواعدة التي يُتوقع لها مستقبل مشرق في عالم كرة القدم.

عبدالكريم البليخ
صحافي سوري

دمشق - في زمن تتسارع فيه الأحداث، وتتشابك فيه المصائر بين الشرق والغرب، تظل كرة القدم مساحة استثنائية يجد فيها الشباب نافذتهم نحو الاعتراف العالمي. هنا، بين أنفاس الملاعب الإسبانية وضجيج مدرجاتها، تلمع جوهرة مغربية شابة اسمها عمر الهلالي، لاعب لم يتجاوز الحادية والعشرين من عمره، لكنه بات يختصر في مسيرته حكاية جيل مغربي جديد يقتحم الفضاءات الأوروبية بثقة وموهبة قلّ نظيرها.

مسيرته لا تبدو مجرد انتقال طبيعي للاعب من بلد إلى آخر، بل هي انعكاس لمرحلة ذهبية تمرّ بها الكرة المغربية، مرحلة تفرض حضورها على الخرائط الكروية العالمية، حيث لم يعد اللاعب المغربي مجرد "مهاجر كروي"، بل أصبح سفيرا لهوية كروية متجددة تحمل عبق التاريخ وتتنفس هواء الحاضر. عندما يتابع المرء أداء الهلالي، سرعان ما يكتشف أنه يجمع في طريقة لعبه مزيجا بديعا من عالمين: حرارة الشغف المغربي الذي تربى في الأزقة والملاعب الترابية، وانضباط المدرسة الإسبانية التي تمثل إحدى القمم التكتيكية في العالم. هذه الثنائية جعلت منه لاعبا عصريا يوازن بين أدواره الدفاعية الصلبة وبين قدراته الهجومية المتدفقة.

قوة دفاعية

فهو ليس مجرد ظهير أيمن تقليدي؛ إنه لاعب يقرأ الملعب بوعي معمّق، يقدّر اللحظة المناسبة للاندفاع إلى الأمام كما يحسن اختيار موقعه حين تستدعي الحاجة إلى إغلاق المساحات. هذا الوعي التكتيكي المبكر يمنحه نضجا يفوق عمره، ويجعل منه نموذجا للاعب قادر على التأقلم مع تحولات الكرة الحديثة التي لم تعد تحتمل الجمود أو الأدوار الجامدة. المباريات الكبرى هي المرايا التي تكشف المعادن الحقيقية. وفي مواجهة أتلتيكو مدريد، أحد أكثر الفرق الأوروبية انضباطا وقوة، أظهر الهلالي أنه ليس مجرد لاعب شاب يُختبر، بل عنصر قادر على فرض حضوره.

> مع هذا المسار المتطور، يصبح الحديث عن انضمام النجم الهلالي للمنتخب المغربي أمرا طبيعيا، بل ضروريا

دخل المباراة بدور غير تقليدي، إذ لعب كقلب دفاع ثالث، وهو موقع يتطلب من اللاعب شجاعة خاصة، إذ يكون عرضة لاختبارات بدنية وذهنية عالية. ومع ذلك، تألق بشكل لافت، فكان أكثر اللاعبين تمريرا في الثلث الهجومي بعدد عشر تمريرات مؤثرة، وهو رقم يكشف عن وعيه في تحويل الدفاع إلى هجوم، وعن بصيرته في قراءة مجريات المباريات الكروية. ولم يتوقف عند هذا الحد، بل أنقذ فريقه في لحظة فارقة حين قطع كرة كادت أن تترجم إلى هدف مبكر لأتلتيكو. وفي نهاية اللقاء، جاءت لمساته الحاسمة عبر عرضية متقنة أثمرت هدف الفوز، فكان شريكا في صياغة فرحة كروية كاملة، فرحة تُكتب في ذاكرة الجماهير وتبني سمعة لاعب على صعيد أوسع.

الإحصاءات ليست مجرد أرقام جامدة، بل هي مرآة لحكاية تعب وتطور. وفي حالة الهلالي، تكشف الأرقام عن صورة واعدة: ففي الموسم الماضي، احتل المركز الرابع بين أظهرة الدوريات الأوروبية الكبرى تحت سن 23 في التفوق بالثنائيات الدفاعية، والمركز الثاني بين أظهرة تحت 21 عاما في التمريرات العمودية وحمل الكرة نحو الأمام. هذه المعطيات تجعل منه لاعبا يزاوج بين القوة الدفاعية والقدرة على البناء الهجومي، وهو ما يبحث عنه أي مدرب في الكرة العصرية، حيث لم يعد الظهير مجرد حارس لخطوط الملعب، بل صار عنصرا بنائيا يمهّد للهجمة ويصنع الفارق.

خلف كل لاعب مهاجر قصة نفسية معقدة. فالهلالي لا يعيش فقط بين خطي التماس في الملعب، بل يعيش أيضا بين خطين في الحياة: خط الانتماء لجذوره المغربية، وخط الاندماج في المجتمع الإسباني. هذه الثنائية ليست سهلة، إذ تفرض على اللاعب أن يصالح بين هويتين، وأن يحوّل ازدواجية المكان إلى مصدر قوة لا إلى انقسام داخلي.

إنّ قوته الحقيقية تكمن في هذا التوازن النفسي؛ فبينما ينصهر في النظام الإسباني، يظل يحمل في داخله حرارة الانتماء للمغرب، وهو ما يمنحه أفقا أوسع، يجعله لاعبا يعرف أنّ نجاحه الشخصي مرتبط أيضا بصورته كجزء من جيل مغربي يكتب اسمه في أوروبا.

حين نتمعن في قصة الهلالي، ندرك أن كرة القدم لم تعد مجرد لعبة؛ إنها وسيلة تواصل حضاري واجتماعي. فالهلالي يمثل في إسبانيا أكثر من مجرد لاعب محترف؛ إنه سفير لجيل كامل من الشباب المغربي الذي يرى في الكرة وسيلة للصعود الاجتماعي، ونافذة لحوار الثقافات.

إنّ الملاعب الإسبانية التي تحتضنه، بكل ما تحمله من تاريخ كروي عريق ومعمار رياضي متطور، تصبح مسرحا لتلاقي حضارتين: المغرب بما يملكه من عمق حضاري وأصالة، وإسبانيا بما تقدمه من نظام رياضي دقيق وصناعة كروية متكاملة. وفي هذا التلاقي، يولد لاعب جديد قادر على أن يكتب تاريخه الشخصي، وأن يعيد رسم صورة المغرب في الوعي الأوروبي.

بريق أمل

التاريخ الكروي المغربي غني بالنجوم الذين شقوا طريقهم في أوروبا، من العربي بن مبارك الذي سُمي "الجوهرة السوداء" في خمسينيات القرن الماضي، إلى جيل نورالدين النيبت ومصطفى حاجي، وصولا إلى أسود الأطلس الذين أبهروا العالم في مونديال قطر 2022.

الهلالي هو حلقة جديدة في هذه السلسلة التاريخية، لكنه ينتمي إلى جيل أكثر وعيا بالعولمة، وأكثر قدرة على الاستفادة من المدارس الأوروبية دون أن يتخلى عن جذوره. إنّه تجسيد للمرحلة الذهبية التي تعيشها الكرة المغربية، حيث تتكامل الأكاديميات المحلية مع خبرات الاحتراف الخارجي لتنتج لاعبا قادرا على المنافسة على أعلى المستويات.

ومع هذا المسار المتطور، يصبح الحديث عن انضمام الهلالي للمنتخب المغربي أمرا طبيعيا، بل ضروريا. فالمنتخب الذي أثبت في السنوات الأخيرة أنه قادر على منافسة الكبار يحتاج إلى دماء شابة تعزز صفوفه. والهلالي، بما يملكه من انضباط تكتيكي وسرعة تطور، مرشح لأن يكون أحد ركائز الدفاع المغربي في كأس الأمم الأفريقية المقبلة، وربما في مونديال جديد يواصل كتابة التاريخ. المستقبل لا يُمنح هدية، بل يُصنع بالعمل والإصرار.

والهلالي، إذا واصل على النهج نفسه، سيجد نفسه قريبا من أكبر الأندية الأوروبية. فالموهبة وحدها لا تكفي، بل تحتاج إلى عزيمة، واستعداد دائم لتجاوز التحديات، ومقدرة على الاستمرار في التعلم.

الهلالي يكسب رهان مقارعة الكبار

وما يميز الهلالي أنّه لا ينظر إلى الكرة كوسيلة للشهرة فقط، بل كرحلة وجودية تمنحه معنى لحياته. هذا البعد الفلسفي، وإن بدا خفيا، هو ما يجعل مسيرته مختلفة؛ لأن اللاعب الذي يرى في كل مباراة امتحانا لذاته، وفي كل تمريرة جسرا مع زملائه، لا بد أن يرتقي إلى مستويات أعمق من مجرد الأداء الفردي.

عمر الهلالي ليس مجرد لاعب واعد في الدوري الإسباني، بل هو رمز لعصر جديد في الكرة المغربية. عصر تتلاقى فيه الأزقة الشعبية المغربية مع الملاعب الأوروبية المتطورة، وتتشابك فيه الهويات لتنتج نموذجا إنسانيا وكرويا فريدا. إنه جوهرة مغربية تلمع على الأراضي الإسبانية، لكنها لا تزال تحمل في بريقها دفء المغرب وأحلام شبابه. وإذا كان الحاضر قد شهد بزوغ نجمه، فإن المستقبل يعد بمسيرة يمكن أن تُكتب في صفحات التاريخ الكروي بحروف من ذهب.

تحفيز أرنولد وتناغم مبابي وفينيسيوس.. من الحلول أمام تشابي لتعويض البداية السيئة

خطوات تائهة

مدريد - قد يكون ريال مدريد قد فاز في أول مباراة له هذا الموسم، لكن المدرب الجديد أمامه الكثير من العمل في ملعب سانتياغو برنابيو. لا توجد طريقة أخرى لوصف الأمر: كان ريال مدريد سيئا للغاية في فوزه 0-1 على أوساسونا في افتتاح الموسم. المشجعون الذين كانوا يبحثون عن بوادر مشجعة أو يأملون في أن تأسرهم الأفكار التكتيكية الجديدة، شعروا بخيبة أمل كبيرة. لم يكن هناك شيء محدد يمكن ملاحظته، لا نظام جديد مبهر، ولا طريقة مبتكرة للعب.

بدلا من ذلك، عاد ريال مدريد إلى الكثير من الأنماط المعتادة. كان هناك الكثير من الخلافات بين فينيسيوس جونيور وكيليان مبابي. افتقر خط الوسط إلى التوازن. بدا الفريق ضعيفا في بعض الهجمات المرتدة. إذا كان ريال مدريد يريد حقا المنافسة على الدوري، فعليه أن يقدم أداء أكثر إقناعا من هذا.

لكن الخبر السار هو أن الموسم لا يزال في بدايته. قد يكون أمام تشابي ألونسو الكثير من العمل، لكنه يمتلك أيضا الكثير من الموارد. كما أن جودة التشكيلة- وضعف الدوري الإسباني نسبيا- يساعدان ريال مدريد على الاستمرار بفضل اللمحات الفردية الساحرة. ومع ذلك، فإن الفردية لا يمكن أن تدعمهم لفترة طويلة، وحتى لو أعطي المدرب الجديد الوقت الكافي، فسيتعين عليه البدء في بناء شيء أكثر تماسكا من الناحية التكتيكية. تلقي نظرة على أكبر التغييرات التي يجب على ألونسو إجراؤها إذا أراد ريال مدريد الفوز بالألقاب الكبرى هذا الموسم...

وكم مرة كنا في هذا الموقف؟ ليس من المستحيل التوصل إلى اتفاق بين فينيسيوس ومبابي. لكن الأمر صعب للغاية. السبب الحقيقي هو عدم رغبة الطرفين في التنازل. فينيسيوس مصمم على البقاء على خط التماس والقطع إلى الداخل. أما مبابي، فلديه ارتباط عميق، يكاد يكون عاطفيا، بالجانب الأيسر. ولم يبد أي منهما أي محاولة حقيقية للتوصل إلى حل وسط.

نادرا ما يركض مبابي داخل منطقة الجزاء. فينيسيوس لا يوسع نطاق لعبه. تتقلص المساحات وتختفي الممرات. حتى أفضل اللاعبين في العالم يواجهون صعوبة عندما يواجهون ثلاثة لاعبين. ربما يكون مبابي هو الأكثر حاجة إلى التنازل هنا.

لا أحد منهما لاعب رقم 9، ولا يبدو أن أيا منهما سيصبح لاعبا عالميا. لكن مبابي هو بالتأكيد من يجب أن يحاول، خاصة إذا كان ريال مدريد سيلعب بثلاثة مهاجمين. الشيء الوحيد الواضح هو أن الوضع لا يمكن أن يستمر على هذا الحال لفترة أطول. ألونسو أمامه مشكلة صعبة يجب أن يحلها. لذا فإن الأمر كله يتعلق بالتوازن في الحقيقة. ريال مدريد يفتقر إلى القوة في الهجوم، كما أن خط الوسط يبدو غير متوازن بعض الشيء. ولا شك أن ألونسو سيقوم بتعديل تشكيلته في جميع خطوط الملعب خلال الأيام والأسابيع والأشهر المقبلة.

ومع ذلك، هذا يعني أنه بحاجة إلى صلابة في بعض المراكز الرئيسية. أحد هذه المراكز هو الظهير الأيمن، وحتى كارفاخال الذي عاد من إصابة خطيرة في الركبة هو أكثر موثوقية من معظم اللاعبين الآخرين. كان الإسباني من المرشحين للفوز بجائزة الكرة الذهبية قبل 12 شهرا فقط، ولديه سجل إصابات نظيف نسبيا. صحيح أنه تجاوز الثلاثين من عمره، لكنه لا يزال قادرا على تقديم الكثير في كرة القدم.

لكن ربما الأهم بالنسبة لفريق ريال مدريد هو العوامل غير الملموسة. فقد غادر معظم اللاعبين القدامى النادي. ولا يزال كارفاخال يعرف كيف يكون قائدا، وماذا يعني ارتداء قميص النادي. في معظم الأماكن، هذا أمر مبتذل بعض الشيء. لكن في سانتياغو برنابيو، أمام جماهير متوقعة، هذا هو كل شيء. ريال مدريد ببساطة يحتاج إليه على أرض الملعب.

> قد يكون ريال مدريد قد فاز في أول مباراة له هذا الموسم، لكن المدرب ألونسو أمامه الكثير من العمل في البرنابيو

إن إعادة كارفاخال إلى التشكيلة الأساسية كما هو مقترح يعني أن لاعبا آخر سيتضرر. وهكذا نعود إلى معضلة ترينت أرنولد. كان هناك رأي سائد لفترة طويلة بأن ألكسندر أرنولد سيصبح في النهاية لاعب وسط. هذه الفكرة منطقية من منظور المهارات. ألكسندر أرنولد هو بلا شك أفضل لاعب تمرير في كرة القدم العالمية، ولديه كل الصفات التي يمكن أن تريدها في لاعب وسط. اختبر ساوثغيت هذه النظرية مع منتخب إنجلترا وحقق نتائج متباينة.

كان ألكسندر أرنولد فعالا بشكل ملحوظ عندما تباطأت وتيرة المباراة، وكان لديه الوقت الكافي لتمرير الكرة. لكنه واجه صعوبات في المباريات المحمومة التي تتطلب انضباطا أكبر في التمركز. مع وجود كارفاخال في مركز الظهير الأيمن، قد يكون الوقت قد حان لاستئناف تجربة "ترينت في خط الوسط"، ولكن هذه المرة في ريال مدريد.

والشيء الجيد في كونك فريقا في الدوري الإسباني هو أنك تحظى بجزء من الموسم لتجربة اللاعبين الجدد، خاصة على أرضك. ريال مدريد، بكل بساطة، سيخوض عددا لا بأس به من المباريات السهلة.

في الواقع، إذا كان هناك شيء واحد تعلمناه من بداية الموسم البطيئة، فهو أن ريال مدريد قادر على الفوز دون أن يلعب بشكل جيد. يبدو أن هذا يفتح المجال أمام بعض الوجوه الجديدة لتجربة حظها. دخل فرانكو ماستانتونو، الذي بدا، في فترة قصيرة، أكثر من جاهز لهذا اللحظة. لقد حظي لاعب خط الوسط المهاجم السابق في ريفر بليت بالفرصة مع المنتخب الأرجنتيني، ومن المفترض أن يحظى بمزيد من الاهتمام مع دخول الألبيسيليستي في عصر جديد من المواهب التي ستخلف ليونيل ميسي.

ولعل أكثر ما يميزه هو تنوعه. ماستانتونو، الذي يلعب في مركز لاعب خط وسط مهاجم، يمكنه اللعب في أي مركز تقريبا. وقد أظهر ذلك في المباراة الافتتاحية للموسم، حيث لعب في الغالب على الجناح الأيمن، وكان بمثابة مصدر طاقة حقيقي. قطع التمريرات، وتجاوز المدافعين، وطارد الكرات الضائعة. حرمته تصدي رائع من تسجيل هدف استحقه في أول مباراة له. لا يزال من غير المؤكد ما إذا كان سيبدأ كل المباريات، لكنه أثبت أنه يستحق المزيد من الدقائق.

العرب
الأحد 2025/08/24
السنة 48 العدد 13585

توتنهام يلحق الهزيمة الأولى بالسيتي ويرتقي إلى صدارة البريميرليغ

النادي اللندني يعلن عن انطلاقة قوية مع بداية منافسات الدوري

فاز نادي توتنهام هوتسبر على مضيفه مانشستر سيتي بثنائية نظيفة في المباراة التي جمعت بينهما السبت على ملعب الاتحاد لحساب الجولة الثانية من منافسات الدوري الإنجليزي الممتاز، ليوقّع النادي اللندني بذلك على انطلاقة قوية في الدوري.

مانشستر (إنجلترا) - ألحق توتنهام بمضيفه مانشستر سيتي خسارة صعبة بثنائية نظيفة في عقر داره بملعب الاتحاد ضمن المرحلة الثانية للدوري الإنجليزي لكرة القدم السبت.

ونجح توتنهام للمباراة الثالثة تواليا بالخروج بالفوز أو التعادل في ملعب الاتحاد (فوزان مقابل تعادل)، كان آخرها إلحاقه هزيمة ثقيلة بالستيزنز برباعية نظيفة في 24 نوفمبر 2024.

وسجّل هدفي الفريق اللندني الويلزي بريان جونسون (35) والبرتغالي جواو بالينيا (2+45).

وتابع توتنهام الذي حلّ في المركز السابع عشر الموسم الماضي قبل أن يُتوّج بلقب الدوري الأوروبي من دون أن يُجنّب ذلك المدرب الأسترالي أنج بوستيكوغلو الإقالة ليحلّ مكانه الدنماركي توماس فرانك، انطلاقته القوية بعد فوزه في المرحلة الأولى على بيرنلي 2 – 0 ليرتقي إلى الصدارة بست نقاط.

بداية واعدة لتوتنهام

> هدفا توتنهام هوتسبير الإنجليزي سجّلهما الويلزي بريان جونسون في الدقيقة 35 والبرتغالي جواو بالينيا (2+45)

أما سيتي الطامح لاستعادة اللقب بعد حلوله ثالثا الموسم الماضي، فمُني بخسارته الأولى بعد فوزه الافتتاحي على ولفرهامبتون 4 – 0.

وأجرى مدرب سيتي الإسباني بيب غواردیولا تغييرين مقارنة بالتشكيلة الأساسية التي هزمت ولفرهامبتون في الجولة الافتتاحية، فزجّ بالوافد الجديد الفرنسي ريان شرقي والمهاجم المصري عمر مرموش مكان البلجيكي جيريمي دوكو والبرتغالي برناردو سيلفا.

كذلك، عاد النجم الإسباني رودري الفائز بجائزة الكرة الذهبية لعام 2024 وفيل فودن على مقاعد البدلاء. وغاب رودري البالغ 29 عاما عن معظم فترات الموسم الماضي بسبب تمزّق في الرباط الصليبي تعرّض له خلال مواجهة أرسنال في الدوري، قبل إصابته مجددا في الفخذ خلال مباراة الخسارة 3 – 4 أمام الهلال السعودي في مونديال الأندية.

وفي المقابل، أجرى فرانك تغييرين عن المباراة الأولى، فدفع بالأوروغوياني رودريغو بيتانكور والبرتغالي بالينيا مكان آرسي غراي والسويدي لوكاس برغفال.

وجاءت أولى فرص المباراة عن طريق مرموش الذي سدد كرة من زاوية ضيّقة، لكنها مرت بمحاذاة المرمى بجانب القائم الأيمن (10).

وعاود مرموش سعيه لافتتاح التسجيل فأطلق تسديدة صاروخية من مسافة 20 ياردة أجبرت حارس توتنهام على الارتماء نحو اليمين، متصديا لها ببراعة (20).

واضطر غواردیولا لإجراء تبديل اضطراري بعد إصابة الجزائري راين آيت-نوري، ليدفع مكانه الهولندي ناثان أكيه (23).

وبدا سيتي قاب قوسين أو أدنى من كسر التعادل السلبي بعد انطلاقة قوية من هالاند تجاوز فيها أكثر من مدافع، قبل أن يمرر كرة مذهلة إلى مرموش. وانفرد الدولي المصري بالحارس على بُعد نحو 10 ياردات فقط، إلا أن الأخير استطاع تضييق الزاوية ببراعة قبل أن يتصدى للكرة في أخطر الفرص (29).

وبخلاف مجريات اللقاء، نجح توتنهام في فرض الصمت بملعب الاتحاد بعد أن سجّل جونسون الهدف الأول إثر تفوّق البرازيلي ريتشارليسون على جون ستونز بالسرعة على الجهة اليمنى قبل أن يرسل إلى داخل المنطقة فحولها الأول إلى داخل الشباك من مسافة قريبة. وتم تأكيد الهدف بعد العودة إلى تقنية الحكم المساعد "في أيه آر" إثر رفع راية التسلل في البداية (29).

وأهدى سيتي الضيوف الهدف الثاني بعد هفوة قاتلة بالتمرير من الحارس جيمس ترافورد تحت ضغط من ريتشارليسون، فانقض بالينيا على الكرة مصوبا كرة سهلة داخل الشباك (2+45).

وضغط سيتي في مستهل الشوط الثاني بحثا عن العودة في النتيجة وبعد أن فقد فيكاريو الكرة بطريقة ساذجة، تعددت محاولات أصحاب الأرض لوضع الكرة في الشباك من مسافة قريبة، لكن شرقي ارتكب خطأ في اللحظة الحاسمة ليفقد سيتي فرصة تقليص النتيجة (54).

وفي ظل إخفاق سيتي في خلق الفرص، زجّ غواردیولا بالثنائي المخضرم رودري وفودن (75).

لكنّ توتنهام كان الأقرب للتسجيل عندما تصدى حارس سيتي لرأسية الفرنسي ويلسون أودوبرت وحوّلها إلى ركنية (3+90).

ولحساب الجولة ذاتها، ألحق تشيلسي بمضيفه وجاره اللندني وست هام خسارة قاسية هي الثانية توالیا له بنتيجة 5 – 1 الجمعة.

وكان تشيلسي سقط في فخ التعادل السلبي على أرضه في المرحلة الأولى أمام جاره كريستال بالاس. في المقابل، تعرض وست هام لخسارة قاسية أمام سندرلاند الصاعد حديثا إلى الدرجة الممتازة 0 – 3.

وقبل بداية المباراة، أصيب مهاجم تشيلسي كول بالمر ولم يشارك أساسيا فحل بدلا منه البرازيلي استيفاو.

بدأ وست هام بشكل مثالي عندما منحه البرازيلي لوكاس باكيتا التقدم بهدف رائع بعدما تقدم بالكرة من وسط الملعب قبل أن يطلقها قوية من خارج المنطقة عانقت شباك الحارس الإسباني روبرت سانشيس (6)، لكن رد تشيلسي كان صاعقا لأنه سجل ثلاثية خلال 19 دقيقة.

وأدرك المهاجم البرازيلي الجديد القادم من برايتون جواو بيدرو التعادل لتشيلسي بكرة رأسية من مسافة قريبة مستغلا كرة عرضية (19). وسرعان ما أضاف الجناح البرتغالي بيدرو نيتو الثاني عند القائم الثاني (23).

وأضاف لاعب الوسط الأرجنتيني انتسو فرناندیس الثالث بعد مجهود فردي رائع للبرازيلي استيفاو على الجهة اليمنى (34).

فلاشينغ ميدوز: فصل جديد في صراع ألكاراز وسينر

نيويورك - يتطلع الإيطالي يانيك سينر والإسباني كارلوس ألكاراز إلى كتابة فصل جديد من صراعهما المثير عندما تنطلق بطولة الولايات المتحدة، آخر البطولات الأربع الكبرى في كرة المضرب اليوم الأحد.

ومع انتهاء حقبة "الثلاثي الكبير"، برزت ثنائية سينر وألكاراز بشكل لافت وملأت الفراغ الناتج عن اعتزال السويسري روجيه فيدرر والإسباني رافائيل نادال، وتراجع الصربي نوفاك ديوكوفيتش.

ففي مواجهاتهما الخمس في البطولات الكبرى حتى الآن، قدّم الثنائي سينر وألكاراز مباريات ستبقى خالدة في الأذهان على غرار تلك التي جمعت فيدرر ونادال وديوكوفيتش.

وفي الموسم الحالي، فاز ألكاراز بالمعركة الأولى، بعدما عوّض تأخره ليفوز في نهائي بطولة فرنسا المفتوحة في مباراة ملحمية 4 – 6 و6 – 7 (7 – 4) و6 – 4 و7 – 6 (3 – 7) و7 – 6 (2 – 10) في يونيو الماضي.

لكنّ رد سينر لم يتأخر وجاء في نهائي ويمبلدون الشهر الماضي متفوقا على الإسباني بأربع مجموعات 4 – 6 و6 – 4 و6 – 4 و6 – 4.

وقال سينر بعد فوزه في ويمبلدون "ما زلت أنظر إلى كارلوس كمصدر تحدٍ، إذ أشعر حتى اليوم أنه يتفوّق عليّ في بعض الجوانب. هذا أمر سنعمل على تحسينه لأنه سيكون علينا مواجهته مجددًا."

وسبق أن خاض اللاعبان أيضا مباراة مثيرة في نيويورك استمرت لخمس ساعات و15 دقيقة في ربع النهائي عام 2022، قبل أن يحسمها ألكاراز عند الساعة الثانية و50 دقيقة من بعد منتصف الليل بالتوقيت المحلي.

وقال ألكاراز عن منافسته مع سينر "في كل مرة نلعب فيها ضد بعضنا البعض، أعتقد أن مستوانا مرتفع للغاية." وتابع "لا أعتقد أن هناك أيّ لاعبين يقدمان المستوى نفسه الذي نقدمه حين نواجه بعضنا البعض."

ويرى الأسطورة الأسترالية رود ليفر أن سينر وألكاراز هما بمثابة هبة من السماء في عالم التنس.

وكتب ليفر على وسائل التواصل الاجتماعي بعد فوز سينر في ويمبلدون "إن التنافس المتزايد بينهما هو بمثابة هدية لرياضتنا، وهو ما يقابله الاحترام الحقيقي الذي يظهرانه لبعضهما البعض."

وأضاف "سواء فازا أو خسرا، يتنافسان بفرح وأناقة وروح رياضية. هذا ما يصنع الأبطال."

وتكتسي المواجهة بين الرجلَين أهمية مضاعفة هذه المرة في فلاشينغ ميدوز، إذ أن معركة المركز الأول في التصنيف العالمي ستكون على المحك.

والتقى اللاعبان مجددا في نهائي دورة سينسيناتي المفتوحة الاثنين، إلا أنّ الجماهير حُرمت من مواجهة كلاسيكية أخرى بعد انسحاب سينر أثناء المجموعة الأولى بينما كان متأخرا 5 – 0 بسبب الإصابة.

> اللاعبان خاضا مباراة مثيرة في نيويورك استمرت لخمس ساعات و15 دقيقة في ربع النهائي عام 2022

وبعد فوزه بدورة سينسيناتي، بات ألكاراز على بعد 2000 نقطة من الإيطالي في التصنيف العالمي. ويحتاج سينر للبقاء في الصدارة أن يفوز باللقب على الأرجح، أما ألكاراز فيحتاج لبلوغ مرحلة أبعد من خصمه اللدود.

ولن يسلّم سينر بالصدارة من دون قتال، خصوصا أنّه وقبل انسحابه من نهائي سينسيناتي، قد حقق 26 فوزا متتاليا على الأرضية الصلبة.

وفي حال نجح الإيطالي في بلوغ جهوزيته القصوى مجددا، فإنّ قلة قليلة تستطيع المراهنة ضد المصنّف أول عالميا حول إمكانية حصده للقب.

أربعة أندية سعودية معروضة للبيع

فريق بمواصفات أوروبية

الرياض - كشف تقرير عن عرض صندوق الاستثمار العام السعودي للبيع أكبر أربعة أندية في الدوري هي النصر، حيث يلعب النجم البرتغالي كريستيانو رونالدو، واتحاد جدة والأهلي والهلال وذلك ضمن خطط خفض الإنفاق.

وكان صندوق الاستثمار العام اشترى 75 في المئة من أسهم كل من هذه الأندية الأربعة في 2023 وأبقى 25 في المئة من الأسهم تحت سيطرة وزارة الرياضة.

ووفق الصحافي السعودي أحمد العجلان ستتضمن صفقة البيع الـ25 في المئة التي تملكها وزارة الرياضة أيضا، وبدأ السباق فعلاً على شراء الأندية وأولها الهلال.

وحسب التقرير، كان هدف استثمار صندوق الاستثمار العام في الأندية الأربعة الكبيرة والإنفاق الكبير في شراء نجوم عالميين جزءاً من خطة إثبات التزام المملكة بتطوير الدوري المحلي ضمن رؤية 2030.

وشهد الشهر الماضي إدخال لوائح مطورة على الأداء المالي للأندية والإشراف على عقلانية الإنفاق وذلك لتعزيز الاستدامة على المدى البعيد.

وأنفق الهلال السعودي 76 مليون جنيه إسترليني في الصيف لشراء داروين نونيز من ليفربول وثيو هيرنانديز من ميلان وأنفق النصر 64 مليون جنيه إسترليني لشراء كينغسلي كومان من بايرن ميونخ وجواو فيلكس من تشيلسي، ناهيك عن تمديد عقد نجمه رونالدو عامين مقابل 492 مليون جنيه إسترليني.

وأنفق الأهلي 27 مليون جنيه إسترليني لشراء إينزو ميلوت من شتوتغارت الألماني فيما أنفق الاتحاد 19 مليون جنيه إسترليني فقط، ورغم الاستثمار في شراء نجوم إلا أنه لا يصل لـ750 مليون جنيه إسترليني التي أنفقتها الأندية قبل موسم 2023 – 2024.

وفتحت وزارة الرياضة باب خصخصة الأندية الرياضية وأكد وزير الرياضة خصخصة 3 أندية كان نادي الخلود أولها واشترته مجموعة هاربرغ الأميركية التي يترأسها بن هاربرغ وغيرت المجموعة شعار النادي وأكدت تعيين مدرب أوكسفورد يونايتد السابق ديس بكنغهام مدرباً جديداً.

ودعت وزارة الرياضة، المهتمين بشراء ناديي النجمة والأخدود ضمن المرحلة الثانية لمشروع الخصخصة.

وسبق أن أعلنت وزارة الرياضة، بالتعاون مع المركز الوطني للتخصيص، تخصيص أول ثلاثة أندية رياضية سعودية، عبر الطرح العام، وهي أندية الأنصار، والخلود، والزلفي، وانتقال ملكيتها إلى جهات استثمارية، وذلك بعد أن أُعلن في أغسطس 2024 عن طرح ستة أندية للتخصيص، وهي الأنصار، والأخدود، والخلود، والزلفي، والعروبة، والنهضة، ضمن المسار الثاني لمشروع الاستثمار والتخصيص للأندية الرياضية.

> نادي الهلال السعودي أنفق 76 مليون جنيه إسترليني لشراء داروين نونيز من ليفربول وثيو هيرنانديز من ميلان

ويأتي الإعلان عن تخصيص الأندية الثلاثة، بعد استكمالها الإجراءات النظامية، وقيام المركز الوطني للتخصيص بالإجراءات اللازمة لتأسيس شركات الأندية، لنقل ملكيتها إلى الملاك الجدد، حيث ستنتقل ملكية نادي الزلفي إلى شركة "نجوم السلام"، فيما ستنتقل ملكية نادي الخلود إلى شركة "هاربورغ غروب"، وستنتقل ملكية نادي الأنصار إلى شركة "عودة البلادي وأبناؤه".

وكشفت الوزارة عن فتح المجال لاستقبال طلبات الاهتمام من الجهات الاستثمارية التي ترغب في الاستحواذ على أيّ من الأندية الرياضية السعودية الأخرى.

وأكدت وزارة الرياضة أن استقبال عروض الاستحواذ سيستمر حتى 17 سبتمبر المقبل، مشيرة إلى أن هذه الخطوة تمثل مرحلة جديدة في تطوير بنية الأندية وتحويلها إلى كيانات اقتصادية قادرة على المنافسة إقليميًا ودوليًا.

وتأتي هذه التطورات بعد أيام قليلة من إعلان رجل الأعمال الأميركي بن هاربورج دخوله الساحة السعودية عبر استحواذه على نادي الخلود، في مؤشر على تنامي اهتمام المستثمرين الأجانب بالدوري السعودي.

ولا يقتصر مشروع التخصيص على عملية بيع أندية فحسب، بل يهدف إلى إعادة تشكيل المنظومة الرياضية عبر ضخ رؤوس أموال جديدة، وتحسين البنية التحتية، وتطوير المواهب المحلية. كما يُتوقع أن يتعزز حضور الدوري السعودي على المستوى العالمي، مستفيدًا من النجاحات التسويقية التي حققها باستقطاب نخبة من النجوم الدوليين في المواسم الأخيرة.

العرب
الأحد 2025/08/24
السنة 48 العدد 13585

مغربيات على صهوات التراث يفزن بإحياء التبوريدة

برزت الفارسات المغربيات في فن التبوريدة التقليدي، محطمات احتكار الرجال حيث صار حضورهن في مهرجانات مثل مولاي عبدالله يعكس تحولاً اجتماعياً، حيث يقدمن عروضاً مبهرة، يتحكمن بالخيول ويطلقن البارود، محافظات على التراث وملهمات للأجيال.

تراث يتجدد بلمسة أنثوية

الرباط - في السنوات الأخيرة، برز حضور نسائي لافت في ساحات الفروسية المغربية التقليدية، حيث اقتحمت الفارسات مجال "التبوريدة" الذي ظل لقرون حكراً على الرجال. هذا الفن، المعروف أيضاً بـ"الفانتازيا"، يُعد من أبرز الموروثات الثقافية المغربية، ويجسد روح الفروسية والاحتفال الجماعي.

وكلمة "التبوريدة" مشتقة من كلمة "بارود"، وهي في ظاهرها تحكي قصة أمجاد مغربية صنعها الأجداد في ساحات الوغى. يقول الباحث المغربي في علم التراث أبوالقاسم الشبري "حين تنتهي الحرب يحتفل الناس، علماً أنه في عدد من الحروب كان يوجد من يرافق المتحاربين لشحذ الهمم ودعمهم شعراً ونثراً بالمزامير والطبول، سواء كانوا نساء أو رجالاً، فطبيعي بعد أن تنتهي الحرب ويتحقق الانتصار أنهم سيحتفلون".

واليوم، ما زالت زغاريد النساء وتصفيق الجمهور تتعالى في جو يوحي باحتفالات النصر في معارك تاريخية قديمة قدم زخارف السروج ولباس الفرسان و"المكاحل" أو البنادق التقليدية المزركشة والمنقوشة بالفضة أو النحاس، وكذلك الخناجر التي يتحزم بها الفرسان وأحذيتهم التقليدية التي يُطلق عليها "تماغ".

أصبحت "التبوريدة النسوية" اليوم جزءاً أساسياً من المشهد الثقافي في مهرجانات وطنية مثل تيسة وسيدي قاسم ومولاي عبدالله، حيث تقدم الفارسات عروضاً مبهرة ضمن فرق منظمة تُعرف بـ"السربات"، تتراوح أعدادها بين عشر وعشرين فارسة. وتُظهر هؤلاء النساء مهارات عالية في التحكم بالخيول وإطلاق البارود، وسط انضباط صارم وتنسيق دقيق تقوده "العلامة"، وهي قائدة السربة.

في موسم مولاي عبدالله أمغار، أحد أبرز التظاهرات الدينية والثقافية في المغرب، تميزت العروض اليومية بمشاركة ثلاث سربات نسائية أضفت على الفعالية طابعاً استثنائياً جذب أنظار الزوار وعشاق الفروسية. وقد بدأ عرض الفارسات بإيقاع بطيء في صفوف على صهوة الجياد، ثم انطلقن عدواً في ربوع "المحرك"، يثرن نقع الغبار تحت صيحات الفارسات وأوامر القائدة، وأطلقن النار في الهواء من بنادق تقليدية قديمة تحت وهج من الزغاريد والتصفيقات، في توليفة رائعة لقصيدة نظمت أبياتها في عشق المرأة والحصان.

وقد أثبتت الفارسات جدارتهن في هذا الفن الذي يتطلب شجاعة وتحكماً عالياً، ما جعلهن منافسات حقيقيات للرجال. وتحظى هذه المشاركة بتقدير واسع، إذ تعكس تحولاً اجتماعياً وثقافياً يفتح آفاقاً جديدة أمام المرأة المغربية، ويعزز دورها في الحفاظ على التراث ونقله للأجيال. وقد دفعت هذه التجربة العديد من الفتيات إلى الاهتمام بالفروسية والانضمام إلى جمعيات متخصصة في تربية الخيول.

وفي هذا الصدد، أبرزت الزاهية أبوالليث، أول "علامة" في دكالة، أن شغفها بركوب الخيل تولد لديها منذ صغرها، إذ كانت ترافق والدها المولع بالخيول إلى المواسم للمشاركة في "التبوريدة". وأكدت، في تصريح لوكالة المغرب العربي للأنباء، أن هذا الاهتمام الكبير بهذا الفن النبيل دفعها إلى إنشاء سربة نسائية سنة 2003، حيث تمكنت رفقة عدد من الفتيات من خلق التميز والفرق، وخلقن لأنفسهن جمهوراً خاصاً بهن أصبح ينتظر مرورهن بالمحرك لإطلاق البارود.

وأوضحت أبوالليث، "علامة" سربة أولاد عمران، أنها دأبت على المشاركة في موسم مولاي عبدالله منذ مدة طويلة، مشيرة إلى أن سربتها تحترم مجموعة من الضوابط التي تفرضها على الفارسات المنتميات لها، منها الانضباط واحترام الجواد والفرسان المشاركين. وتابعت أن السربات النسائية تحظى بالاحترام والتقدير من طرف باقي السربات الرجالية، إذ يتم فسح المجال لهن لـ"التبوريدة" دون الخضوع للنظام المفروض على الرجال القاضي باحترام الدور.

وفي تصريح مماثل، أكدت الفارسة نورا البداوي أنها تشارك للمرة الثالثة في هذا الموسم رفقة سربة "العلامة الزاهية" التابعة لمنطقة أولاد عمران، مؤكدة أن الموسم يشكل فرصة لهن للمشاركة في "التبوريدة"، باعتباره تراثاً مغربياً عريقاً يرمز للتنوع الثقافي المغربي.

أوضحت بشرى، والمقدمة في لغة "التبوريدة" المغربية تعني رئيسة الفرقة أو "السربة"، أنها بدأت ركوب الخيل في عام 2001 تأثراً بأخيها وأبيها اللذين يمارسان هذه الهواية. وقالت بشرى "الرجال أغلبهم يتضايقون ولا يحبون أن تنافسهم النساء في هذه الهواية، لكن الحمد لله المرأة استطاعت أن تفرض نفسها." وعلى الرغم من مخاطر ركوب الخيل، إذ سبق أن كُسرت يدها بسبب طلقة بارود خاطئة، فقد عادت إلى "المحرك"، وهو ميدان إقامة طقوس "التبوريدة".

وقد كافحت بشرى ودافعت باستماتة لتأسيس "سربتها" وجمع فتيات يستهويهن ركوب الخيل، كان لأغلبهن فرد أو أكثر من أفراد العائلة يمارس هذه الهواية.

ولطالما استرعت "التبوريدة" اهتمام الفنانين المحليين والأجانب، وتبقى لوحة للفنان التشكيلي الفرنسي أوجين دي لاكروا في القرن التاسع عشر خير مثال على ذلك. وقد صنفت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) "التبوريدة" تراثاً عالمياً غير مادي.

أوغاريت بلد أول حرف وأول نوتة موسيقية

اللاذقية (سوريا) - على تلّة رأس شمرا شمال مدينة اللاذقية، تقع مدينة سورية قدّمت للعالم أول أبجدية مكتوبة وأول نوتة موسيقية مدوّنة في التاريخ.

إنها أوغاريت، عاصمة مملكة تحمل الاسم نفسه، ازدهرت في القرنَين الرابع عشر والخامس عشر قبل الميلاد، وكانت مركزاً تجارياً وثقافياً فريداً في شرق المتوسط، حيث تلاقت اللغات، وتوثّقت المعارف، وتحوّلت الكلمة والنغمة إلى أدوات حضارة.

في العام 1929 تشكّلت بعثة أثرية فرنسية بقيادة كلود شيفر، ومع كل طبقة تُكشف من الآثار في هذا الموقع، كانت تظهر شذرات من ماضٍ عريق ترك بصمته في الكتابة والموسيقى والفكر.

وأشار الباحث في مجال الآثار بسام جاموس إلى أن أوغاريت كانت أول من أعطى البشرية أبجدية كاملة تتألف من 30 حرفاً، حُفرت على لوح طيني، موضحاً أنها تُعتبر حتى اليوم أقدم نظام كتابي صوتي في التاريخ، وأن اللغوي الفرنسي شارل فيروللو وصفها بأنها "معجزة حقيقية في تاريخ اللغة".

ولم تقف أوغاريت عند حدود الكلمة، بل أبدعت أيضاً في الموسيقى، فقد عُثر في أحد ألواحها على أول نوتة موسيقية مدونة في التاريخ لأنشودة تُدعى "نيغال"، تستخدم سلّماً سباعياً شرقيّ الطابع، ما يجعل من أوغاريت مهد الموسيقى الكلاسيكية.

كما عُرفت بتعددها اللغوي والثقافي، إذ كُتبت نصوصها بأكثر من سبعة أنظمة للخط المسماري، منها الأكادية والحثية والمصرية القديمة والسومرية والقبرصية، ما جعلها مركز تواصل بين الحضارات.

ويشير الباحث جاموس إلى أن معظم الأرشيف الأوغاريتي لا يزال مدفوناً، ما يعني أن المستقبل يحمل بين طيّاته المزيد من المفاجآت التي قد تغيّر نظرتنا إلى نشوء الحضارات.

نوال الزغبي تحتفل بألبومها «يا مشاعر»

بيروت - أقامت النجمة اللبنانية نوال الزغبي مؤتمرًا صحفيًا في بيروت بمناسبة إطلاق ألبومها الجديد «يا مشاعر»، الذي يتضمن 15 أغنية متنوعة باللهجتين المصرية واللبنانية، بالتعاون مع نخبة من الشعراء والملحنين.

وكشفت أنها صورت كل أغاني الألبوم بطريقة الفيديو كليب، بعد شغل دام فترة طويلة، وقالت «كل الألبوم صورته كليبات، والجمهور بيستقبل الأغاني بسرعة، بس لازم نوصّل الأغنية لودان المستمع العربي."

وأشارت إلى إستراتيجيتها في تسويق الألبوم بطرح أغنية كل أسبوعين لضمان وصول كل أغنية إلى جمهور أوسع، مضيفة «هذا النهج يخدم الأغاني ويوصلها إلى شريحة أكبر، مش بس معجبيني. إصدار ألبوم دفعة واحدة زي عمرو دياب حالة خاصة به."

وعن ألبوماتها السابقة، أعربت نوال عن عدم رضاها عن ألبوم «عكس الطبيعة» لأنه لم يكن متكاملًا. وردًا على انتقادات استخدام الذكاء الاصطناعي في كليب «يا مشاعر»، قالت «كانت تجربة فانتازية واحدة فقط، لكنها مرهقة أكثر من تصوير كليب تقليدي".

بخصوص فكرة الدويتو، أبدت نوال انفتاحها على تقديم عمل مشترك جديد، مستذكرة نجاح تعاونها السابق مع وائل كفوري، وأشارت إلى أنها تود التعاون مع المطرب آدم لصوته وحضوره المميزين، مضيفة «أنا بثير الجدل من غير قصد لأني صريحة وما بكبح كلامي".

وتحدثت نوال عن عودة الحفلات إلى لبنان بعد سنوات صعبة، معبرة عن تفاؤلها قائلة «الظروف أثرت على الحفلات، لكن هذا العام بداية الفرح من جديد، والناس سئمت الخوف. إن شاء الله اللي جاي أحلى".

«تمر كاست».. منصة تفاعلية في قلب كرنفال بريدة للتمور

بريدة (السعودية) - وسط حراك ثقافي واقتصادي واجتماعي يعيشه كرنفال بريدة للتمور في مركز الملك خالد الحضاري، استحدث المنظمون منصة إعلامية مبتكرة حملت اسم "تمر كاست"، لتكون نافذة تستقبل الضيوف والزوار وتوثق انطباعاتهم الحية عن الفعاليات، في تجربة جمعت بين الطابع الإعلامي والبعد التفاعلي.

وتُعد المنصة إحدى المبادرات المصاحبة للكرنفال، وأُجريت من خلالها لقاءات مباشرة مع عدد من الزوار والمهتمين والضيوف، لتسجيل آرائهم وتطلعاتهم حول صناعة التمور ومكانتها الاقتصادية والاجتماعية في منطقة القصيم، إضافةً إلى تسليط الضوء على التجارب الشخصية للمزارعين والزوار وما لمسوه من ثراء في الفعاليات المصاحبة.

وحظيت "تمر كاست" بتفاعل المشاركين، مشكلة مساحة للحوار المفتوح ونقل الانطباعات العفوية، إلى جانب كونها قناةً لإبراز حضور الكرنفال على الصعيدين الإعلامي والاجتماعي، بما يسهم في دعم مكانة التمور السعودية كمنتج وطني وعالمي رائد.

ولاقت المنصة الإعلامية إشادةً واسعة من المهتمين والزوار الذين عدّوها إضافةً نوعية في توثيق أحداث الكرنفال، وتأكيدًا على التطور الذي تشهده الفعاليات الموسمية في المنطقة من التنوع والابتكار في البرامج والأنشطة.

فنلندي بطل العالم في العزف على الغيتار الهوائي

كوبنهاغن - أعلن منظمو بطولة العالم للعزف على الغيتار الهوائي لعام 2025 التي أقيمت في مدينة أولو الفنلندية في وقت متأخر الجمعة إن أحد السكان المحليين، أبو "ذا أنجوس" راوتيو، فاز ببطولة العالم للعزف على الجيتار الهوائي لعام 2025.

وقال الفائز على إنستغرام "لا أصدق أنني فزت بالمسابقة".

وطبقا للمنظمين، فإن هدف المسابقة السنوية هو تعزيز السلام العالمي تحت شعار "اصنعوا الهواء وليس الحرب".

وأضاف المنظمون أن الحروب ستنتهي وسيتوقف التغير المناخي وستختفي كل الأشياء السيئة، إذا لعب سكان العالم على الغيتار الهوائي.

صباح العرب

الحبيب الأسود
كاتب تونسي

عيت الخاشقجي

الحدث الغنائي في ليبيا الأيام الماضية، هو الجدل الواسع الذي أحدثته أغنية «خلك يا عيني» للفنان الشعبي الشهير صلاح الورفلي بعد انتشارها الواسع على أكثر من صعيد وفي امتداد جغرافي واسع.

سبب الانتشار هو البيت القائل «خلك يا عيني ع العازة، مانك من عيت (عائلة) الخاشقجي»، ويدعو من خلالها الشاعر الشعبي رزق الله الشلوي عينه إلى القناعة والقبول بوضعها الاجتماعي والاقتصادي المتواضع، مذكرا إياها إنها ليست من أسرة الخاشقجي العربية السعودية المعروفة بثرائها وإمكانياتها المالية الواسعة، وكان من بين رموزها الملياردير الراحل عدنان الخاشقجي.

وهناك من يقول إن الشاعر لم يكن يقصد الثروة فقط وإنما الجاه والوجاهة الاجتماعية، وأنه اختار تلك القافية لينجز قصيدة ذات إيقاع مدهش في سياق شعري يدعى الشعر العكنسي أو باللهجة الدارجة (العونجي) الذي يستخدمه الشعراء بحثا عن الطرافة أو إظهارا لمقدرتهم على التصرف في مفردات اللغة، لصعوبة قافيته، ومن مميزات مفرداته أنها من اللهجة الليبية الشعبية. من أمثلة على ذلك أن يستخدم الشاعر لفظ "زرنقي" بدل أزرق، أو "طرنزي" بدل طرز وهلم جرا.

نجاح القصيدة وانتشارها أوصلها إلى أسرة خاشقجي بالمملكة العربية السعودية التي أطربها اللحن والأداء الليبي، وخرج من بين أفراد الأسرة من يسأل عن معاني الكلمات أولا ثم عن الفنان صلاح الورفلي والشاعر رزق الله الشلوي في موقف يحسب للأسرة التي قدرت الموقف، وربطت جسور التواصل مع صانعي العمل في شرق ليبيا.

وبالفعل، فقد وصلت هدية مجزية للمطرب على أن تردفها هدية مماثلة للشاعر الذي لم يخب ظنه في «عيت الخاشقجي» رغم أن هدفه من القصيدة لم يخرج عن دائرة الاستعارة والتوصيف والمقارنة المفاجئة التي تربط انتباه المتلقي قبل أن تتمكن من السيطرة على مشاعره.

قبل الشلوي، ظهر شاعر شاب من مطروح المصرية يدعى عيسى عبدالرحمن السمالوسي، يقول في قصيدة «ماني من روس المالية/ كي عيلة عيت الخاشقجي/ لا عمري مدّيت إيديّه / لأموال الدولة سارقجي»، وقد يكون كتب شعراء آخرون قصائد لم تصل إلينا، اعتمادا على، أو استنادا إلى اسم الأسرة الشهيرة، وهو ما يشير إلى أن المسافات الاجتماعية تقلصت كثيرا بين الدول العربية وخاصة بين البيئات المتقاربة من الناحية الثقافية

تحولت «عيت الخاشقجي» إلى ترند في ليبيا ودول الجوار، وحق للمطرب الورفلي والشاعر الشلوي أن يعتزا بالنجاح، كما حق الشكر للأسرة التي قدرت الموقف وكرمتها تكريما يليق باسمها ووجاهتها.